مجلة العلوم العربية والإنسانية | E-ISSN : 1658-9602 |
جامعة القصيم، المجلد الالكتروني (١)، العدد (٣)، ص ٨٤١-٩٠٤، (رجب ١٤٤٤ هـ/ يناير ٢٠٢٣) المجلد العام (١٦)

بناء السلم الحجاجي في سورة التوبة
(قراءة في الخطاب القرآني الإقناعي)

د. ذيب بن مقعد العصيمي
الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية – كلية التربية - جامعة المجمعة
(قدم للنشر في ١٤٤٣/١٠/٧ هـ وقبل للنشر في ١٤٤٣/١٢/٢٨ هـ ونشر في ١٤٤٤/٧/١هـ)

ملخّص البحث:

يتناول هذا البحث فعالية السلم الحجاجي في سورة التوبة، ودوره في تراتب الحجج وتصاعدها، للوصول إلى النتيجة الحجاجية المتمثلة في التأثير والإقناع، ويبدأ في توضيح معالم السلم الحجاجي في نزول القرآن الكريم، وموقع السورة منه، ثم السلم الحجاجي الداخلي للسورة؛ فيكشف دور الاشتقاق اللفظي، والدلالة المعجمية للألفاظ، ثم يتناول الروابط الحجاجية في السورة، وكيف أسهمت في تآزر الحجج وتصاعدها، وكذلك فعالية السلم الحجاجي البلاغي، خاصة الاستعارة والاستفهام، كآليتين برزتا في السورة الكريمة.

الكلمات المفتاحية : الحجة المضاعفة، الاشتقاق، الدلالة المعجمية، الاستعارة، الصورة.

Stating Argumentation grading in Surat Al-Tawbah

Dr. Theeb Alosaimi

Professor of Rhetoric and Criticism in the Arabic Language Department. Majmaah University.

Received on 7-10-1443 AH Accepted on 28-12-1443 AH Published on 1-7-1444 AH

Abstract:

This research reviews the effectiveness of the argumentative grading in Surat Al-Tawbah and its role in the hierarchy of arguments and their escalation so as to reach the argumentative result of influence and persuasion. The research begins to clarify the features of the argumentative grading in the revelation of the Noble Qur'an, the location of the surah, then internal argumentative , therefore it reveals the role of verbal derivation, and the lexical significance of words, then deals with the argumentative connections in the surah, and how they contributed to the synergy and escalation of arguments, as well as the effectiveness of the rhetorical argument especially metaphor and interrogation, as two mechanisms that were explained in Quran.

Key words: double argument, derivation, lexical significance, metaphor, pattern

المقدمة :

تتنوع أدوات الحجاج ، وسبل التأثير والإقتاع في الخطاب، وتتعانق تلك الأدوات من خلال شبكة من العلاقات اللغوية والسياقية والتداولية، ويرتفع الخطاب في درجة التأثير والإقناع من خلال استغلال تلك الآليات وتوظيفها . والسلم الحجاجي نظام منغرس في صلب الحجاج، ومن ثم في صلب الخطاب ؛ لأنه تدرج للحجج لتبلغ النتيجة المرجوة من التأثير والإقناع، وهذا السلم الحجاجي ينطلق من بنية اللغة، وأدواتها، ويتسع لفضاء الخطاب ومؤثراته السياقية والتداولية . والقرآن الكريم من خلال طبيعة الإعجاز المتحققة فيه يحتوي نمطا من السلم الحجاجي، الذي يحتاج إلى الكشف والدراسة، لا سيما من خلال سورة التوبة التي تم اختيارها لطبيعة نزولها، وموقعها من النزول.

ولم أجد من الدراسات ما تطرق للسلم الحجاجي في سورة التوبة . وقد اعتمد البحث المنهج التحليلي لمعالم السلم الحجاجي، وقسم إلى : تمهيد وقسمين :

التمهيد : وقد تحدثت فيه عن الخطاب والحجاج، والسلم الحجاجي والحجة المضاعفة.

القسم الأول : خصص للسلم الحجاجي الخارجي للسورة، وفيه حديث عن سلم النزول القرآني، وموقع السورة من ذلك السلم.

القسم الثاني : وفيه تحليل السلم الحجاجي الداخلي للسورة، حيث : سلم الاشتقاق والدلالة المعجمية، وسلم الروابط الحجاجية، والسلم الحجاجي البلاغي .

وختم البحث بأهم النتائج التي توصل إليها، وثبت بالمصادر والمراجع.

التمهيد:

يستعين الخطاب بكافة الآليات الإقناعية، بدءًا من الأطروحات المنطقية الملزمة، لكون نتائجها تطابق المسلمات العقلية، وانتهاء بآليات الخطاب ذاته، سواء أكانت تلك الآليات سياقية أو مقامية أو لغوية، ومن هنا تبرز القدرة التصاعدية في الخطاب، أو ما يسمى بالسلم الحجاجي[١] للارتفاع بالحجة إلى مستوى تجعله أكثر قوة وإقناعا. ولنا أن نتساءل في هذا التمهيد ما العلاقة بين الخطاب وعملية الإقناع ؟ وما القوة الحجاجية الإقناعية التي يمتلكها السلم الحجاجي؟.

١ – الخطاب والإقناع:

يهدف الخطاب – أي خطاب - إلى الإقناع، لأنه إنجاز فعل، " فإن الصورة الخارجية للتلفظ بالعبارة إنما تهدف على أنحاء كثيرة إلى وصف وقوع الحدث الباطني وصفًا إنجازيًّا صحيحاً كان أم خاطئًا "[٢]، وهذه الإنجازية هي قوة الفعل الكلامي التي

(١) يعرف طه عبد الرحمن السلم الحجاجي بأنه : " عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية" اللسان والميزان أو التكوثر العقلي . طه عبد الرحمن . المركز الثقافي العربي . الدار البيضاء – المغرب . ط الثالثة ٢٠١٢ . ص ٢٧٧ ، ويعرفه د .الشهري بأنه :" العلاقة المجازية بين الدعوى والحجة لتصبح علاقة شبه منطقية إلى حد ما، وذلك بالرغم من أنها تتجسد بطبيعة الحال من خلال الأدوات اللغوية ؛ فيمثل صلب فعل الحجاج تدافع الحجج وترتبها حسب قوتها، إذ لا يثبت غالبا إلا الحجة التي تفرض ذاتها على أنها أقوى الحجج في السياق ؛ ولذلك يرتب المرسل الحجج التي يرى أنها تتمتع بالقوة اللازمة التي تدعم دعواه ". استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية . د / عبد الهادي بن ظافر الشهري . دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع . عمان – الأردن. ط الثانية ٢٠١٥ . ج٢ .ص ٢٨٥.

(٢) نظرية أفعال الكلام العامة . جون أستن . ترجمة عبد القادر قنيني . ص ١٩ .

تعني الطاقة الموجودة في القول بعد أن تكونت البنية، ولكنها طاقة زائدة تتركب في الطاقة التي كونت البنية اللغوية، التي تهدف إلى إنجاح العملية التواصلية اللغوية والتأثير في المتلقي وإقناعه.

فالإقناع هدف يتعانق ووقوع الحدث الكلامي ؛ وبهذا يصبح الهدف الإقناعي في الخطاب جزءًا رئيسا من استراتيجيات الخطاب، بل إنه هدف أولي يخضع لاستغلال مجموعة من الآليات الحجاجية، بدءًا من المعطيات العقلية والمسلمات المنطقية وانتهاءً بالأدوات والآليات اللغوية الكامنة في عمق الاستعمال اللغوي " فالإقناع يحدث عن الكلام نفسه إذا أثبتنا حقيقة أو شبه حقيقة بواسطة حجج مقنعة مناسبة للحالة المطلوبة"[١].

وقد كان الخطاب يعتمد على بعد غير لغوي يتمثل في الحجاج الأرسطي القائم على المقدمات والنتائج المنطقية العقلية، وكما يذكر د عمارة ناصر فإنه أمام المعرفة المنطقية الموزونة "أخذ طرفا الحدث الخطابي المتكلم والسامع يتراجعان مما أدى إلى انفصال الخطاب عن تاريخه ومصادر إيجاده و إنتاجه "[٢]، ومع فقدان الثقة بمعطيات العقل تلك، وجمود الخطاب المنطقي أخذ الاهتمام يتزايد بالحدث الكلامي ؛ لكونه المؤثر المباشر في عملية التخاطب، ونجاح العملية التواصلية القائمة على التفاعل والمؤدية إلى الإقناع، "وهذه الجوانب التواصلية والتفاعلية للأفعال اللغوية ليست منفصلة تمام الانفصال بعضها عن بعض لتعلقها بالمنطوق نفسه، بل يمكن أن يكون

(١) بلاغة الخطاب الإقناعي . د محمد العمري .أفريقيا الشرق – الدار البيضاء – المغرب . ط الثانية ٢٠٠٢. ص ٢٥ .

(٢) انظر . الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسقي . عمارة ناصر . منشورات الاختلاف . الجزائر – الجزائر . ط أولى ٢٠٠٩ . ص ٦٥ .

بينهما أحيانًا ارتباط يزيد ثباته أو نقصه "[١]، وهذا الارتباط هو المؤذن بالقدرة الإقناعية القارة في منحنيات الخطاب ؛ لأنه - أي الخطاب – كما يقول د الشهري : " منجز مخطط له بصفة مستمرة وشعورية "[٢] ؛ فالهدف الأول من الخطاب هو الإقناع ، وعملية الإقناع هذه لم تعد تخاطب العقل فقط كما كان ذلك في الحجاج الأرسطي المنطقي ، بل تجاوزت ذلك إلى ما يمكن تسميته بناء جسور من المشاركة الفاعلة في الخطاب " فالآخر المختلف والخصم المغالب ، والمناظر المقحم والمجادل المشاغب والمخاطب المستشار هم أطراف فاعلة في منطق المحادثة ... وبذلك تحولت المعرفة إلى عمل والقوة الكامنة فيها إلى فعل "[٣] وتحولت القدرة على الإقناع في الخطاب إلى قدرة لغوية في المقام الأول ، تعتمد على قدرة المتكلم ومدى ما يمتلك من كفاءة لغوية يمكنه توظيفها في خطابه . ولا يتوقف النجاح هنا على تلك القدرة فقط ، بل لا بد من مراعاة السياقات الخطابية المختلفة والمقامات[٤] المتنوعة لتتم عمليتي التأثير والإقناع .

---

(١) الحجاج فعل لغوي مركب . فان إيمرين وروب غرونتدورست . ترجمة : ياسين ساوير المنصوري . ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومناهجه . عالم الكتب الحديث . إربد – الأردن . ط أولى ٢٠١٠.ج ٢ . ص ٤٥٥ .

(٢) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية . ج١ . ص ٩٥ .

(٣) الفلسفة والبلاغة . ص٨٤ .

(٤) يستعمل لفظ(situation) بطرق متنوعة ، وكثيرا ما يكون معادلا لـ (context) " سياق" ومع ذلك فهو ينزع إلى التمييز عنه بتسميات متنوعة : مقام تواصلي ، مقام خطابي ... وبصفة عامة وبدون ان نقابل بينه وبين السياق فإن هذا اللفظ يحيل على مجموعة الظروف التي تحيط ببث عمل لغة ، أما السياق فمن شأنه أن يكون داخل اللغة " معجم تحليل الخطاب . إشراف باتريك شاردو – دومنيك منغو . ترجمة : عبد القادر المهيري و حمادي صمود . المركز الوطني للترجمة – تونس. ٢٠٠٨ . ويعرف د عبد الهادي الشهري السياق بأنه : " تجسيد =

وقد جاء الخطاب القرآني لتغيير السلوك، وتعديل نظرة الإنسان للخالق سبحانه وتعالى وللكون والطبيعة، واعتمد على التأثير والإقناع؛ فالقرآن – كما يقول الدكتور عبدالله صولة - :"حامل حجاجا، وحجاجه مجسد في أسلوب، وإذا كان الأسلوب هو التفرد والتميز والخصوصية، وهي فكرة أسلوبية معروفة فإن الحجاج في القرآن لا يمكن إلا أن يكون حجاجا خاصا به دون غيره من سائر الخطابات "[1]، وهذه الخصوصية هي جزء من ظاهرة الإعجاز القرآني الممتد عبر خطاب لغوي حجاجي يحتوي آليات الحجاج المتنوعة، ومنها السلم الحجاجي الذي يتنوع من حيث الشكل والآلية .

٢ – السلم الحجاجي والحجة المضاعفة :

يفرق (ديكرو) عند حديثه عن السلم الحجاجي بين نظامين من الإقناع، أحدهما : القائم على البرهنة، والآخر : القائم على الحجاج، والأخير هو من ميزات الخطاب . يقول في هذا الشأن :" إن البرهنة كالقياس مثلا لا تمثل خطابا بالمعنى العام؛ لأن الملفوظات التي تتركب منها البرهنة منفصل بعضها عن بعض، بمعنى أن كل واحد منها يعبر عن قضية ما ...والوضعية مختلفة عن ذلك تماما عندما يتعلق الأمر بخطاب؛ إذ تسلسل الملفوظات في الخطاب ذو أصل داخلي، إنه يتأسس على طبيعة الملفوظ نفسه،

=

لتلك التتابعات اللغوية في شكل الخطاب ، من وحدات صوتية وصرفية ومعجمية، وما بينها من ترتيب وعلاقات تركيبية" استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية . ج١ . ص ٧٧ .

(١) الحجاج في القرآن الكريم . عبد الله صولة . دار الفارابي ، بيروت - لبنان . ط. الأولى٢٠٠١ . ص ٥٣ .

فإذا كان الملفوظ حجاجيا فليس فقط لأنه يقول شيئا عن العالم، ولكن لأننا نعتبره في حد ذاته "[١]، وبهذا الاعتبار يكون السلم الحجاجي من صميم بنية الخطاب الحجاجية؛ فتتصاعد الحجة باستمرار مع توالد ملفوظات الخطاب مؤدية إلى عملية التوجيه[٢]، الذي يحصل على مستوى الخطاب ومستوى المتلقي للوصول إلى درجة أعلى من التأثير والإقناع.

وهذه السلمية الحجاجية "صفة ملازمة لعدة ظواهر، ولاسيما اللغة، التي وصفت بعض أنظمتها الدلالية والتداولية بكونها تراتبية "[٣]. وتتمثل هذه التراتبية في الانتقال من حجة ضعيفة إلى حجة أقوى، ومن ثم تتآزر الحجج لتحقيق هدف التأثير والإقناع من خلال رصد كمية من الحجج المترابطة تراتبيا عن طريق أدوات لغوية وبلاغية وسياقية متعددة؛ بل إن هذه التراتبية تسبق ظهور الخطاب من خلال سلمية مقامية وسياقية؛ إذ إن الخطاب ذاته يخضع لسلمية ذهنية في توالده وبروزه فهو " ينشئ موضوعاته إنشاء تدريجيا تتقلب فيه هذه الموضوعات في أحوال دلالية متباينة تنتقل

---

(١) السلالم الحجاجية . أوزفالد ديكرو . ترجمة زصابر الحباشة . ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومناهجه . ج ٢ . ص ٣٨٨ .

(٢) التوجيه هنا على " اعتبار الحجاج عملا لغويا لا خطابيا؛ فما من ملفوظ إلا وهو موجه نحو نتيجة؛ فالحجاج يمر بثلاثة مراحل :

١ – معنى الملفوظ ،(مرحلة الانطلاق) .

٢ – توجيهه (مرحلة التوجيه).

٣ – قوة الحجة (مرحلة النتيجة)". العوامل الحجاجية في اللغة العربية . د .عز الدين الناجح . مكتبة علا الدين للنشر والتوزيع . صفاقس – تونس .ط الأولى ٢٠١١ ص٣٠ .

(٣) السلالم الحجاجية في القصص القرآني مقاربة تداولية . كلية الآداب والفنون . قسم اللغة العربية وآدابها . جامعة وهران ١ أحمد بن بلة . السنة الجامعية ٢٠١٤ -٢٠١٥ . ص ١١٧ . .

فيها من الإجمال إلى التفصيل ومن الإشكال إلى التبيين ومن الخفاء إلى الظهور "[١]، ومن هنا فإن السلم الحجاجي يحفُّ بالخطاب قبل مولده، ويصاحبه أثناء وجوده يمده بالحجج المتصاعدة، التي لا يملك حيالها المتلقي إلا التسليم والإذعان؛ فالسلمية " قائمة في اللغة بجميع مستوياتها، أي الجهاز والإنجاز واللغة والخطاب"[٢] في شكل من العلاقات المترابطة التي يصعب الفصل بينها .

القسم الأول : السلم الحجاجي الخارجي:

تتسع دائرة الحجاج في الخطاب لتشمل مكوناته السياقية والتداولية، فضلا عن مكوناته الدلالية واللغوية؛ فدراسة الحجاج تكون على مستويين:

١ - مستوى خارجي، حيث يشكل النص في كليته حجة.

٢ -مستوى داخلي، حيث يتمثل الحجاج في المعجم، والروابط الحجاجية والاستعارات والأفعال اللغوية"[٣]، ولذلك لا بد من دراسة للسلم الحجاجي الخارجي قبل الدخول للسلم الحجاجي الداخلي للسورة الكريمة، ويكون ذلك من خلال الفقرات التالية :

أولا : سلم نزول القرآن مفرقًا:

نزل القرآن منجمًا، مفرقًا حسب الأحوال والمقامات المقتضية لنزوله.وتأخذنا هذه الوضعية في نزول القرآن إلى السؤال المطروح في القرآن الكريم ذاته قال تعالى :﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ الفرقان (٣٢)، ويأتي

(١) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ص ٢٧٩ .

(٢) العوامل الحجاجية في اللغة العربية . ص١٢٣ .

(٣) الحجاج في درس الفلسفة . مليكة غبار – أمين أمزيل – محمد رويض – علي أعمور . أفريقيا الشرق . الدار البيضاء – المغرب . ط ٢٠٠٦ . ص ٥٤.

الجواب في الآية ذاتها: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا﴾ الفرقان (٣٢). إن قضية النزول بهذه الصفة مقصودة لذاتها وإذا أدركنا مدى قوة المتلقي المعاند ندرك القيمة الحجاجية في هذه الوضعية للنزول؛ فهو نزول تراكمي يحمل سلمًا حجاجيًّا في تكامل خطاب القرآن الكريم شيئًا فشيئًا؛ فالمتلقي في هذه الوضعية سواء أكان من المؤمنين المترقبين للنزول بلهفة، أم من الكفار والمنافقين المترقبين للنزول بخوف ووجل، يكون مشدودًا إلى النزول مترقبا له ومن هنا تدخل سلمية الخطاب من خلال:

١) بروز سلم الحوارية بمعنى بروز المتكلم والمتمثل هنا في الله سبحانه وتعالى عن طريق القرآن الكريم.

٢) بروز المتلقي المتلهف والمعاند وهذه الوضعية لا يمكن حضورها لولا هذا النزول المنجم للقرآن الكريم والذي يعطيه قوة أمام أولئك " فالوجود التخاطبي وجود مبني ومصنوع لا وجود خام وممنوح "[(١)]. ومن هذا النزول المنجم أدركت قريش هذه الوضعية المختلفة، وحاولت الطعن فيه من خلالها. ولو لم تكن تعني لهم شيئًا لما سألوا عنها. وقد أشار الإمام الزمخشري إلى أن سؤالهم هذا " مجاراة لما لا طائل تحته لأن أمر الإعجاز والاحتجاج لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو مفرقًا "[(٢)] والأمر ليس كذلك من وجهة النظرية الحجاجية؛ بل إن هذا النزول مقصود، ويزيد من درجة إعجاز القرآن الكريم، قال ابن عطية عند هذه الآية :" فالإشارة إلى نزوله مفرقًا وجعل الله تعالى السبب في نزوله متفرقًا في الزمان يثبت فؤاد محمد -ﷺ- ويحفظه.

---

(١) اللسان والميزان. ص ٢٧٩.

(٢) الكشاف. جار الله الزمخشري. اعتنى به: خليل مأمون شيحا. دار المعرفة. بيروت – لبنان. ط الأولى .٢٠٠٩. ص٧٤٥.

وقال مكي والرماني : من حيث كان أمثالًا يكتب وليطابق الأسباب المؤقتة "[١]، ويقترب المهايمي من دلالة نزول القرآن مفرقًا حجاجيًّا بقوله :" والتفريق أشد في الإعجاز وليس كالشعر الذي لا إعجاز فيه " [٢] . فنزول القرآن مفرقا عندئذ ظاهرة إعجازية تتعلق بسلم حجاجي هو سلم النزول المفرق للقرآن ذلك أن خاصية السلمية " سمة أصيلة ومتجذرة في الخطاب ؛ لذلك فهي ترد في كثير من الأحوال متفاعلة مع الكثير من الظواهر التركيبية الدلالية المميزة "[٣] إضافة إلى تفاعلها مع سياق الخطاب ومقاماته . ولنا أن نتساءل كيف مثل نزول القرآن منجمًا سلمًا حجاجيًّا في الخطاب القرآني ؟.

إن المتأمل في الهدف من هذه الظاهرة يجد الخطاب يتصاعد بشكل متنامٍ مع نزول القرآن، ويتمثل ذلك في تثبيت فؤاد النبي ﷺ، وهذا التثبيت لا يأتي دفعة واحدة بل متدرجًا متصاعدًا. فتثبيت الفؤاد " يقتضي كل ما به خير للنفس ... لأن المتلقي إنما يقوى قلبه على حفظ العلم يلقى إليه إذا ألقي إليه شيئًا بعد شيء وجزءًا عقب جزء "[٤]. أما عن المتلقي من المؤمنين وغيرهم فهذا التنزيل المفرق له فائدة حجاجية يشير إليها المهايمي

---

(١) تفسير ابن عطية . المسمى : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي . دار ابن حزم . د - ت . ص ١٣٨ .

(٢) تفسير المهايمي . المسمى تبصير الرحمن وتيسير المنان ببعض ما يشير إلى إعجاز القرآن للعلامة : علي المهايمي . د — ت .ج٢ . ص٨١ .

(٣) المظاهر اللغوية للحجاج . مدخل إلى الحجاجيات اللسانية . رشيد الراضي. المركز الثقافي العربي . الدار البيضاء — لمغرب .ط الأولى ٢٠١٤ . ص ١١٨ .

(٤) تفسير ابن عاشور . تفسير التحرير والتنوير . محمد الطاهر بن عاشور . مؤسسة التاريخ .بيروت - لبنان .ط الأولى .ت . ج ١٩ . ص٤٥ .

بقوله : " ليتقرر في قلوبهم "[١] وهذا التقرير لا يأتي دفعة واحدة، بل يتدرج أو بمعنى آخر من خلال بناء سلم حجاجي، ويمكن توضيح ذلك من خلال الشكل التالي :

تثبيت فؤاد ↑ ↑ تقرير الحق

النبي ﷺ

نزول القرآن الكريم مفرقا

وإذا كانت دلالة الحجاج " لا تتوقف على الظاهر من الملفوظ فحسب، بل يمكن أن يكون الحجاج بالخطاب التلميحي أيضًا "[٢] ؛ فإن ما يلمح إليه نزول القرآن مفرقًا في دائرة الحجاج، بل الحجاج الذي تتعانق فيه الملفوظات مع السياقات الاجتماعية والبعد الزمني للخطاب. فالخطاب " شبكة معقدة من النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتح فيها الكلام كخطاب " [٣]ولاشك أن القرآن أثناء نزوله مفرقًا قد جعله الله سبحانه متناسبًا مع تلك النظم السائدة اجتماعيًّا وسياسيًّا وثقافيًّا.

---

(١) تفسير المهايمي .ص ٤٣٩ .

(٢) استراتيجيات الخطاب . ج٢ . ص٢٥٧ .

(٣) المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب .د. نعمان بوقرة . عالم الكتب الحديث. عمان – الأردن . ط الأولى ٢٠٠٩ . ص ١٣ .

ثانيا : سلم المكي والمدني:

يخضع الخطاب لمجموعة من المؤثرات منها السياقية والمقامية والثقافية، والقرآن الكريم كان نزوله في سياق خصوصية معينة من حيث المتلقي، وتغير موقفه حسب السيرورة الزمنية، ومن هنا كان النزول المكي والمدني للقرآن الكريم يتخذ سلمًا حجاجيًّا من حيث الزمن؛ والمكون الثقافي، وحالة المتلقي؛ فالبيئة ومكونها الثقافي وحالة المتلقي في مكة لها ما يتوافق مع درجة السلم الأولى وهي: تقرير العقيدة والإشارة إلى آيات الله الكونية؛ "فالقرآن في مكة يدافع عن القلة من المسلمين ويرفق بهم وينافح عنهم وسط هذه البيئة من الأعداء المشركين وهم بحاجة إلى من يأخذ بأيديهم ويثبت قلوبهم. والقرآن في مكة يقارع الخصوم، ويحطم معتقداتهم الزائفة بالحجة والدليل، ويدفع الشبهات، ويبطل الخرافات ويكشف الأباطيل والتراهات، وهم أهل لجاج وعناد وإصرار واستكبار . وظل القرآن ينافحهم حتى أقام الحجة عليهم، وأنشأ جماعة إسلامية كانت نواة الدولة الإسلامية "[(١)]، فنحن إذن أمام درجة أولى من السلم الحجاجي، حيث تقرير الدين الجديد وإرساء دعائمه، وهذه قوانين الخطاب التي "تكمل القواعد التركيبية الدلالية "[(٢)]؛ فالقرآن في هذه المرحلة التاريخية من النزول يراعي قانون المناسبة أو قانون الإفادة:Loi de Pertinence Relation حيث الحرص على التلاؤم موضوعيًّا مع السياق المحيط الذي يؤثر في

(١) درا سات في علوم القرآن . أ – د فهد الرومي . الرياض ط ١٦ .١٤٣٠ ص ١٣٤ .

(٢) السلالم الحجاجية وقوانين الخطاب . مقاربة تداولية . د . حمدي منصور جودي . مجلة مقاليد – جامعة بسكرة – الجزائر . العدد ١٣ سنة ٢٠١٧ . ص ٤ .

المرسل إليه[١]، حتى إذا انتقل المسلمون إلى المدينة بعد الهجرة طرأت أحوال جديدة، واختلفت حالة المتلقي من الرفض إلى القبول فبدأت مرحلة جديدة أو قل درجة من سلم النزول القرآني هي سلم القرآن المدني الذي تميز موضوعيًّا ببيان العبادات والمعاملات والحدود والمواريث، وبمخاطبة أهل الكتاب من اليهود والنصارى ودعوتهم للإسلام، وكذلك الكشف عن المنافقين ومؤامراتهم وتميز أسلوبيًّا بطول الآيات والمقاطع والجمل [٢] وهذا لاريب درجة ثانية في سلم النزول ترتقي بارتقاء المتلقي وانتقاله من الرفض إلى القبول، وترتقي في الموضوع من تقرير الاعتقاد القلبي إلى السلوك الظاهري وبسط جوانب العبادات، كما ترتقي في البنية الدلالية والتركيبية، حيث الخطاب الذي يغلب عليه الهدوء والتخفيف من الأدوات الحجاجية فالتفاعل بين القرآن وجمهور متلقيه الأوائل " كان عاملا حاسما في تحديد خصائص أسلوبه وما نشأ عن هذه الخصائص من حجاج، أو قل كان ذلك التفاعل عاملا حاسما في توجيه دفة الحجاج وجهة معينة "[٣]ومن ذلك حالات السلم الحجاجي، وتراتب الحجج، وكثرتها أو قلتها في كل مرحلة من النزول، ولنا أن نوضح هذه السلمية الزمنية لنزول القرآن في الشكل التالي :

---

(١) انظر السابق . الصفحة نفسها .

(٢) انظر : مباحث في علوم القرآن . مناع القطان . مكتبة معارف للنشر والتوزيع – الرياض .ط الثالثة . ٢٠٠٠ . ص ٦٤ .

(٣) الحجاج في القرآن . ص ٥٤ .

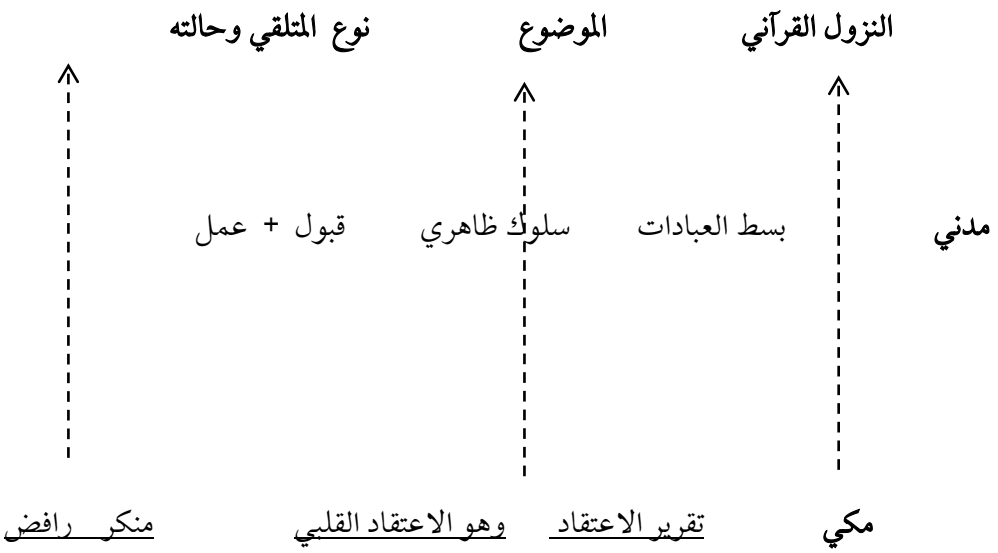

من الشكل السابق نرى كيف يشير السلم الحجاجي من خلال سيرورة الخطاب القرآني الزمنية، فهو يرتقي بارتقاء الموضوع ويتطور بتطور المتلقي. كل ذلك يمثل قانون الطريقة أو الشمولية: Manière / Loi d'Exhaustivité في السلم الحجاجي والتي تعني أن يقوم المرسل بترتيب الخطاب[1]، وهو ترتيب يراعي كافة جوانب الخطاب، من سياق تداولي وثقافي، إضافة إلى حالة المتلقي؛ ليكون القرآن أكثر تأثيرا وإقناعا.

(١) انظر : السلالم الحجاجية وقوانين الخطاب مقاربة تداولية . د . حمدي منصور جودي . مجلة مقاليد– جامعة بسكرة – الجزائر . العدد ١٣ سنة ٢٠١٧ . ص ٤ .

ثالثا : سورة التوبة والسلم الحجاجي للنزول:

سورة التوبة مدنية إلا آيتين[١]، وقيل كلها مدنية، وعدد آياتها تسع وعشرون ومائة[٢]. و والسورة تعالج علاقة المجتمع المسلم في المدينة بالطوائف المختلفة من مشركين، وأهل كتاب، وتنظم تلك العلاقة؛ لا سيما بين المسلمين والمنافقين الذين برزوا في المدينة[٣]. فالسورة " من بدايتها إلى نهايتها تقرر أحكام التعامل فيما بين المسلمين من جهة، وبين المسلمين وغيرهم من جهة ثانية، سواء كانوا من أهل الكتاب أو من المشركين، وغير ذلك مما يتصل ببناء الدولة الإسلامية وحراسة أمنها الداخلي وتكافلها الاجتماعي"[٤] وتلك العلاقة الجديدة جزء من طبيعة القرآن المدني الذي

(١) انظر : تفسير ابن عطية . ص ٨٢٢ .

(٢) انظر : أسماء سور القرآن وفضائلها . د . منيرة محمد الدوسري . دار ابن الجوزي .الرياض . ط الثانية ١٤٢٩ هـ . ص١٨٦ .

(٣) " لا شك أن النفاق ظهرت معالمه وعرفت أعيانه في المدينة دون مكة ، وقد بحث المفسرون علة ذلك ، رغم ما قيل في بعض الآيات المكية من أنها نزلت في المنافقين وقرروا أن مرد ذلك إلى أن المسلمين في مكة لم يكن لهم من القوة والنفوذ في حالة تستدعي وجود فئة من الناس ترهبهم أو ترجو خيرهم ؛ فتتملقهم وتتزلف إليهم في الظاهر وتتآمر عليهم وتكيد لهم وتمكر بهم في الخفاء " صورة المنافق في القرآن الكريم دراسة في الدلالات الصوتية والصرفية . سورة التوبة أنموذجا . البخاري السباعي . رسالة ماجستير . كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية . قسم الحضارة الإسلامية . جامعة وهران . العام الجامعي ٢٠٠٥ – ٢٠٠٦ . ص ٢١ .ووجود النفاق وظهوره في العهد النبوي ليس المجال هنا لبسطه، ولكن ظهوره في المدينة كان مؤثرا، ولذلك كثر الحديث عنه في السور المدنية .

(٤) دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم . د : زاهر بن عواض الألمعي .ط الأولى ١٤٠٥هـ . ص ١٤٠ .

يغلب عليه توجيه الخطاب إلى المتلقي المذعن، وتوجيهه إلى مجموعة من العبادات والطاعات، إلا أنها تنظم علاقة أكثر حساسية، وهي علاقة السلم والحرب، واتخاذ أكثر القرارات نجاحا تجاه طوائف ظهرت، لا سيما المنافقون؛ فقد كانت هذه السورة " تقسم المجتمع، وتوضح طبيعة كل قسم " قال ابن عباس – رضي الله عنه - مازال ينزل : ومنهم و منهم حتى ظُن أنه لا يبقى أحد "[1]وهذا يوضح طبيعة التلهف والتشوق التي يثيرها النزول المفرق ومنه هذه السورة الكريمة، بطبيعتها المدنية، وموضوعاتها الأكثر حساسية، وهذا يمثل سلما حجاجيا يتطور مع نزول السورة الكريمة؛ فموقع السورة في السلم القرآني يعد متقدما يتجاوز التشريع في موضوعات العبادات إلى تشريع آخر هو بناء العلاقة الصحيحة والناجحة مع الطوائف المختلفة، لا سيما المنافقين الذين خفي أمرهم، وانخدع بهم كثير من المجتمع المدني، وبهذا يتكون لنا سلم حجاجي جديد يمكننا توضيحه من خلال الشكل التالي:

بناء العلاقة مع الطوائف المخالفة وكشف المنافقين

↑

تشريع العبادات

↑

نزول القرآن المدني

(١) تفسير ابن عطية . ص ٨٢٢ .

إنه من خلال الشكل السابق ترتفع الحجة في السلم الحجاجي للنزول من قضية التشريع إلى قضية أكثر جدلا ، وهي بناء العلاقات الخارجية ، كل ذلك نوع من القيم الإسلامية التي يرسخها القرآن في المجتمع المسلم ، وهي هنا تأتي متسلسلة ؛ "فالأمر الجوهري في الحجاج هو تعيين القيم لكنه يكمن أيضا في تسلسلها بعد مسألة القبول"(١).

إن درجة بناء العلاقة بين المجتمع المسلم في المدينة وبين الطوائف الأخرى الذي تمثله هذه السورة درجة أخيرة في بناء المجتمع وأخيرة في السلم الحجاجي القرآني ؛ " فالسورة من أواخر ما نزل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم - ولها هدفان أساسيان إلى جانب الأحكام الأخرى وهما :

١) بيان القانون الإسلامي في معاملة المشركين ، وأهل الكتاب .

٢) إظهار ما كانت عليه النفوس حينما استنفرهم رسول الله عليه وسلم لغزو الروم"(٢).

وهذان الهدفان هما قمة السلم الحجاجي لنزول القرآن ، وخاتمة الحجة في بناء مجتمع مكتمل العناصر واضح الرؤية ؛ فمن خلال الهدف الثاني برزت طائفة المنافقين ، ويعد ظهورهم في المدينة مؤثرا ، فاقتضى الأمر نوعا من الخطاب القرآني الذي برز في سورة التوبة ، لا سيما وأنها تعالج قضية هي سبب ذلك البروز ، أعني بذلك غزوة تبوك ، وقد قام الباحث البخاري السباعي بتقسيم تلك القضية زمنيا ، حيث يبدأ بمرحلة الإعداد للغزو ، ثم مرحلة السير إلى الجهاد إلى تبوك فمرحلة

---

(١) عدة الأدوات الحجاجية . ليونيل بلنجر . ترجمة قوتال فضيلة . ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته . ج ٢ . ص ٤١٥ .

(٢) أسماء سور القرآن وفضائلها . ص ١٨٦ -١٨٧ .

العودة، وأخيرا مرحلة النفاق في المدينة بعد العودة[١]، وهذا التسلسل يمثل سلما حجاجيا خارجيا لخطاب السورة الكريمة الرئيس، فهو يتصاعد من خلال المكان والزمان والقضية ؛ فالتصاعد مكانيا من حيث السفر البعيد خارج الجزيرة العربية[٢]، وهي درجة كما سبق تمثل أعلى السلم الحجاجي في الخطاب القرآني الذي بدأ بقريش ثم العرب ثم الأمم كافة، والارتقاء الزمني من حيث الوقت لتلك المعركة التي لم تكن متوقعة وليست اضطرارا في نظر أكثر المسلمين، إنما السبب في ذلك هو دعوة النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن هشام :" إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، وذلك في زمان من عسرة الناس، وشدة الحر وجدب من البلاد: وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها، وأخبر أنه يريد الوجه الذي يصمد إليه إلا ما كان من غزوة تبوك"[٣]، أما القضية فهي ترتقي حجاجيا من خلال بناء علاقة مع الكفار والمشركين ظاهري الحال[٤]، ومع المنافقين الذين برزوا من خلال معركة تبوك " فلما كان نزول هذه السورة إبان انتشار الإسلام في الجزيرة العربية، وتحطيم آخر مواجهة من قبل المشركين ، فقد كان لما حوته من محتوى أهمية بالغة ومواضيع حساسة ؛ إذ

---

(١) انظر : صورة المنافق في القرآن الكريم دراسة في الدلالات الصوتية والصرفي . سورة التوبة أنموذجا . ص ٥٤ وما بعدها .

(٢) الآية ٤٢ .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام . تحقيق مصطفى السقا . إبراهيم الأبياري . عبد الحفيظ شلبي . دار المعرفة . بيروت – لبنان .ج ٣ - ٤ . ص ٥١٦ .

(٤) الآيات ١ -٤١ .

يتعلق قسم منها بالبقية الباقية من عبدة الأوثان والمشركين، وقطع العلائق المترابطة بينهم، وإلغاء المعاهدات والمواثيق التي كانت بينهم وبين المسلمين لنقضهم لها مرارا ليتم تطهير المحيط الإسلامي من رجس الوثنية إلى الأبد ... وقسم مهم من آيات هذه السورة يتكلم عن المنافقين وعواقبهم، ويحذر المسلمين منهم ويتعرض لبعض صفاتهم"(١) فهنا سلم حجاجي من خلال خطاب السورة وهيكلها العام، وهو مرتبط بالبعد السياقي والاجتماعي، ودرجة نمو المجتمع المسلم؛ "فالحجاج فعالية تداولية جدلية تقوم عناصره الاستدلالية على معطيات عملية تواصلية في صلب اللغة أو الخطاب الطبيعيين، ويحتكم فيهما الحجاج إلى أساسيات محايثة ومؤطرة إياه ومنها : العماد اللغوي وطبيعة الاستدلال، ومقتضيات الأحوال، والمعرفة المشتركة التي تكيف كلها نتائجه العملية والنظرية "(٢). وكل ما سبق كان يدور حول الحجاج وسلمه الخارجي للسورة، ويبقى السلم الحجاجي الداخلي للسورة الكريمة المتمثل في المكون اللغوي والدلالي والبلاغي.

القسم الثاني: السلم الحجاجي الداخلي:

لم يعد الحديث عن الحجاج منفصلا عن مجاله اللغوي، أو محصورا في فكرة الحجاج الصوري المنطقي؛ فالحجاج " يرتبط ارتباطا عميقا باللغة البشرية، وهو إحدى

(١) التسهيل لعلوم التنزيل . محمد بن أحمد الكلبي الغرناطي الأندلسي . تحقيق : رضا فرج الهمامي . المكتبة العصرية . صيدا – بيروت .ط . الأولى ٢٠٠٣ . ج ٢ . ص ١٣١ .

(٢) البعد التداولي في الحجاج اللساني . د : بنعيسي أزابيط . ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته . ج ٢ . ص ٢٣٨ .

إمكانياتها الكبرى "(١)، ولذلك يربط طه عبدالرحمن بين الخطاب والحجاج من خلال قيام ما يسميه بتكوثر الخطاب المتمثل في:

١) أن الأصل في تكوثر الكلام هو صفته الخطابية .

٢) أن الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية .

٣) أن الأصل في تكوثر الحجاج هو صفته المجازية "(٢)، وهذا الربط يوضح توسط الحجاج، وعلاقته المتجذرة في الخطاب، وهو يتخذ أنماطا متعددة، ويستغل إمكانات اللغة لنجاح هدفه الأول، وهو عملية التأثير والإقناع، وبناء السلم الحجاجي من أبرز تلك الإمكانيات. ومن خلال سبر جوانب السلم الحجاجي الداخلي في سورة التوبة اتضحت معالمه فيما يلي:

أولا : سلم الاشتقاق والدلالة المعجمية:

لقد أصبح البحث في اللغة وإمكاناتها التأثيرية يتجاوز بنيتها التركيبية والتداولية والسياقية إلى وحداتها الصغرى الملفوظات اللغوية، التي يتم اختيارها ضمن بنية أكبر هي التركيب؛ "فاللغة طريقة إنسانية خالصة، وغير غريزية لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات بواسطة نسق من الرموز المولدة توليدا إراديا"(٣)، وهذه الرموز تبدأ من المفردات اللغوية.

---

(١) الحجاج والتواصل . فيليب بروطون . ترجمة : محمد مشبال وعبدالواحد التهامي العلمي . المركز العربي للترجمة . القاهرة . ط أولى ٢٠١٣ . ص ٣١ .

(٢) اللسان والميزان . ص٢٣١ .

(٣) مدخل للتعريف باللغة . إدوارد سابير . ضمن كتاب : اللغة والخطاب الأدبي . اختيار وترجمة : =

وإذا بدت السلمية الحجاجية على النحو الذي عالجها به (ديكرو) واضحة يكشفها الجانب التركيبي؛ فإنها في مستوى دراسة الاشتقاق والمعجم أكثر وضوحا؛ فالاشتقاق من "أهم آليات التوليد في العربية وأداة التعبير عن المعاني"(١) ليس فقط لمجال الثراء الاستعمالي في اللغة، بل لبناء سلم حجاجي اشتقاقي وإيجاد تفاضل وتراتب بين تلك المفردات يخضعها للاختيار الأنسب.

أ – المصدر(٢): يبرز المصدر في سورة التوبة من خلال التسمية (العنوان) " التوبة " وكذلك الاسم التوقيفي الآخر " براءة " وهذه التسمية " لها دلالتها على السورة

=

سعيد الغانمي . المركز الثقافي العربي – بيروت . ط الأولى ١٩٩٣ . ص ١٢ .

(١) الاشتقاق بين المقاربة اللغوية القديمة والمقاربة اللسانية الحديثة . د . جمال والزين . ضمن كتاب: الاشتقاق والنص أبستمولوجيا المصطلح وقواعد الإعمال . جامعة مولاي إسماعيل –المغرب . ط الأولى ٢٠١٨ . ص ٢٨٠ .

(٢) يعرف النحاة المصدر بأنه : الدال على حدث مجرد من الزمان ، وقد اختلفوا فيه ، هل هو أصل المشتقات أم أن الفعل أصل لها على الخلاف المشهور ، والأدلة الكثيرة . انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف . لعبد الرحمن بن محمد الأنباري . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . د – ت . .ج ١ ص ٢٣٥ . وأيا كان الأمر فإن عملية الاشتقاق تجعل من الأصل هو الجذر الثلاثي، ومن خلاله يمكن اشتقاق الفعل المبني للمعلوم، والماضي المبني للمجهول، واسم الفاعل، واسم المفعول، والمصدر، واسم الآلة وغيرها والمفردات الأصول هي المفردات الأبسط من حيث معناها أي أنها المفردات الدالة على أقرب معنى بالنسبة للمعنى النووي الدال على الجذر. انظر : آلية الاشتقاق في اللغة العربية بين الإعمال والإهمال. إبراهيم الطيب . ضمن كتاب : الاشتقاق والنص: إبستيمولوجيا المصطلح وقواعد الإعمال .ص ١٠٧ . وهذا ما يجعل بينها سلما حجاجيا من حيث ارتقاء الدلالة وتصاعدها .

وارتباطها وثيق بمضمونها، وهو مترجم عن مقصودها "(١)، ويحمل قوة حجاجية من حيث التهيئة للدخول إلى النص (السورة)، كما أنه يرسم معالم الخطاب الذي تحمله السورة لأن العنوان بصفة عامة " يوحي بدلالات تفسيرية وتعليلية ما دامت هناك علاقة جدلية بينهما؛ لأنه نص صغير Micro-texte لنص كبير Macro-texte أو هو نص مواز له Paratexte يحكي عنه بدلالة وإيحاء"(٢). فالتوبة مصدر من تاب يتوب توبة، ثم عرف بأل فصار (التوبة) فهو لفظ في أعلى السلم الحجاجي، فالمعنى يرتقي حسب الزمن الماضي ثم المضارع ثم الأمر ليصل إلى المصدر المقترن بالحدث المجرد من الزمن، وكذلك الحال في الاسم الآخر براءة، قال ابن عاشور معلقا على ذلك : " افتتحت السورة كما تفتتح العهود وصكوك العقود بأدل كلمة على الغرض الذي يراد منها "(٣)، فنحن أمام سلم حجاجي اشتقاقي ، يوضحه الشكل الآتي :

(١) أسماء سور القرآن . ص٦٨ .

(٢) مقاربة العنوان في النص الأدبي : جميل حمداوي . مجلة الكلمة . مجلة أدبية فكرية شهرية إلكترونية .

(٣) تفسير ابن عاشور ، ج ١٠ .ص١٢ .

توبة الثلاثة ↑

التوبة ↑

حدث مجرد من زمن توبة ↑ براءة

حدث + زمن يتوب ↑ يبرأ

حدث + زمن تاب ↑ برئ

وإذا كان اسم (براءة) صدر في أول السورة فاتخذت هذا الاسم من هذا التصدير فإن اسم (التوبة) قد ذكر مكررا في السورة(١)، وهو على وجه خاص يتعلق بتوبة خاصة للثلاثة الذين خلفوا في معركة تبوك (٢)، وهي توبة تتعلق أحداثها بالمنافقين، فتخرج الثلاثة الذين صدقوا من عموم المتخلفين المنافقين (٣)؛ فالتوبة عليهم في أعلى سلم التوبة أيضا، وكأننا أمام توبة عامة هي قمة السلم الحجاجي يتفرع عنه توبة خاصة لأولئك الثلاثة، لتكون نهاية الموقف في تلك القضية، وهذا يتسق مع طبيعة خطاب السورة عامة.

---

(١) الآيات رقم (١٥ - ٢٧ - ٧٤ – ١٠٣ – ١٠٦ - ١١٢ - ١١٧ - ١١٨)

(٢) انظر: تفسير ابن عاشور . ج١٠ . ص ٥ .

(٣) انظر في ذلك : السيرة النبوية . ج٣/٤ . ص٥١٨ وما بعدها .

كما نجد صيغة المصدر تتكرر أيضا في ثنايا السورة (وأذان(١) – إلًّا ولا ذمَّة(٢) – رضوان(٣) – نجَس(٤)) وهي مصادر تمثل قمة السلم الحجاجي، فاللفظ الأول (أذان) اسم مصدر مضاف إلى الله ورسوله ودلالته " إعلام تبرؤ الله تعالى ورسوله من المشركين "(٥)، وهي إضافة ترفع اللفظ في السلم الحجاجي فهي إضافة خاصة ؛ لأنها " تشريع وحكم في مصالح الأمة فلا يكون إلا من الله على لسان رسوله – صلى الله عليه وسلم – وهذا أمر للمسلمين بأن يؤذنوا المشركين بهذه البراءة "(٦)، وإذا كان هذا الإذن من الله بالبراءة منهم في أعلى السلم الحجاجي ؛ فلأن موقفهم قد بلغ كذلك قمة العداوة والمكر ومحاولة الإطاحة بالمسلمين، قال تعالى : (كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ) التوبة (٨)، إننا نجد في هذه الآية مصدرين هما في قمة السلم الحجاجي الاشتقاقي (إلًّا – ذمَّة) و(إلًّا) بمعنى القرابة أو اليمين(٧) فقد كانت بينهم وبين المسلمين قرابة ونسب إلا أنهم لا يراعون ذلك ولا يرقبونه ؛ فموقفهم هذا يمثل قمة العداوة فجاء المصدران ليمثلا ذلك في قمة السلم الحجاجي ؛ فهما مصدران

---

(١) آية : ٣ .

(٢) آية ٨ .

(٣) آية ٢١.

(٤) آية٢٨ .

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل . محمد بن أحمد الكلبي الغرناطي الأندلسي . تحقيق : رضا فرج الهمامي . المكتبة العصرية . صيدا – بيروت .ط . الأولى ٢٠٠٣ . ج ٢ ص ١٣٣ .

(٦) تفسير ابن عاشور . ١٠ ص ١٦ .

(٧) انظر تفسير المهايمي . ج١ ص ٢٩٤ وتفسير ابن عاشور . ج ١٠ ص ٣.

مجردان من الزمان، حدثهما مستمر أبد الدهر؛ ولذا جاء النبذ والتبرؤ السابقان مساويين لهذين في الدلالة والصياغة زيادة في الحجاج، وقوة في الإقناع .

ويوضح مصدر آخر طبيعة هؤلاء (يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَاءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) التوبة (٢٨) يقول الزمخشري عند هذه الآية مشيرا إلى ارتقاء دلالة النجاسة من خلال لفظ المصدر :" فالنجس مصدر، يقال نجس نجسا وقذر قذرا، ومعناه ذوو نجس لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس...أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها" (١)، إن ما يشير إليه الزمخشري ما هو إلا السلم الحجاجي من خلال المصدر المشتق؛ فـ(نجس) الحدث المجرد من الزمان المتلبس بالذات الموصوفة به هو قمة السلم الحجاجي كما يوضحه الشكل التالي :

نجَس ↑ حدث + ذات + مجرد من الزمن

ينجس ↑ مضارع :حدث + زمن

نجس ↑ ماضي :حدث + زمن

(١) الكشاف . ص ٤٢٩ . وتفسير أبي السعود. المسمى : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . لأبي السعود : محمد بن محمد العمادي . دار إحياء التراث العربي . بيروت – لبنان . د – ت .ج ٤ . ص ٥٧ .

وبذلك تتصاعد الحجة عبر الخطاب من خلال هذا الملفوظ ليبلغ الحجاج مداه الأعلى، وكل ذلك متسق مع طبيعة خطاب السورة الذي يعطي أحكاما نهائية للقضايا المطروحة، ويجعل المتلقي أكثر تأثرا وأكثر اقتناعًا.

ب – اسم الفاعل[١]: اسم الفاعل من " نماذج الوصف التي يدرجها المرسل في خطابه بوصفها حجة ليسوغ إصدار الحكم الذي يريد"[٢] ؛ فدلالة اسم الفاعل على الحدث تعبر عن جهة ألا تمام بمعنى الاستمرارية في الحدث متدرجا [٣]، وبذلك يظل الزمن مستمرًا من خلال صيغة اسم الفاعل، بمعنى ارتقاء هذا الملفوظ في السلم الحجاجي، وأول ما يلفت النظر في سورة التوبة هو الأسماء الاجتهادية لهذه السورة التي كانت كلها بصيغة اسم الفاعل وهي: (الفاضحة، المقشقشة، المبعثرة، الحافرة، المغيرة، المدمدمة، المخزية، المشردة، المنكلة)[٤]، هذه الأسماء جاءت بصيغة اسم الفاعل لتدل على الحدث والفاعل، فثمة أحداث تقوم بها هذه السورة، التي أصبحت من خلال اسم الفاعل ذاتا مهيمنة على الخطاب، وتلك الأحداث تتسق مع طبيعة خطاب

---

(١) اسم الفاعل هو" الصفة الدالة على فاعل جارية في التذكير والتأنيث على المضارع من أفعالها لمعناه أو معنى الماضي " شرح الأشموني على الفية ابن مالك . دار إحياء الكتب العربية . د - ت ج ١ ص ٥٥٣ . وهذا التعريف يحمل قيمة حجاجية في كون اسم الفاعل يحمل الدلالة على الحدث مع الفاعل .

(٢) استراتيجيات الخطاب . ج٢ ص ٢٧١ .

(٣) انظر : مفهوم الجهة في اللسانيات الحديثة . دراسة نظرية تطبيقية على اللغة العربية المعاصرة . رسالة ماجستير . تقديم الطالب : الحاج موسى ثالث . جامعة الملك سعود . عام ١٤٤٢٧ . ص ٦٣ .

(٤) انظر : اسماء سور القرآن . ص ١٠٩١ وما بعدها .

السورة أيضا، يقول الزمخشري عند هذه الأسماء: "وهي تقشقش من النفاق أي تبرئ منه، وتبعثر عن أسرار المنافقين، تبحث عنها وتثيرها، وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم، وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم"[١] إننا أمام ذات فاعلة من خلال اسم الفاعل الذي "يدل على المعنى المجرد وفاعله "[٢]وبذلك يرتفع اسم السورة في السلم الحجاجي ليعطيها سطوة حجاجية نافذة،كما أن حكم الله نافذ من خلالها. وبسبب هذه القوة الحجاجية تركت التسمية (البسملة) في أولها " لما فيها - البسملة - من الرحمة المستلزمة للأمان المنافي للقتال ونبذ العهود"[٣] وفضح المنافقين وتشريدهم وبعثرتهم والدمدمة عليهم. ويتكرر اسم الفاعل من خلال السورة كذلك (بريء[٤]، معجزي[٥] مخزي[٦]، أئمة[٧]، صاغرون[٨])، إن بنية التكرار هدفها " تثبيت الدعوى، أو تقرير المعطيات، إنه يهدف إلى جعل محتوى الجدال مفهوما أكثر، إنه يزيد الفهم بجذب انتباه المستقبل وامتلاكه "[٩]سواء أكان التكرار بإعادة اللفظ أو إعادة الصياغة، وهنا نجد تكرار صياغة اسم الفاعل مما يتسبب في التركيز على دلالة معينة، وهي هنا

---

(١) الكشاف . ص ٤٢١ .

(٢) استراتيجيات الخطاب . ج٢ ص ٢٧١ .

(٣) تفسير المهايمي . ج ١ . ص١٣٣ .

(٤) آية ٣.

(٥) آية ٢.

(٦) آية ٢.

(٧) آية ١٢.

(٨) آية ٢٩.

(٩) النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع :محمد العبد . ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته . ج ٢ . ص ٣٩ .

الحدث متلبسا بالفاعل، فهي في قمة السلم الحجاج متسقة مع خطاب السورة؛ ففي اسم الفاعل(بريء) وسببه كما يقول ابن عاشور : " لأن المقام مقام بيان وإطناب لأجل اختلاف أفهام السامعين فيما يسمعون، ففيهم الذكي والغبي ففي الإطناب والإيضاح قطع لمعاذيرهم واستقصاء في الإبلاغ لهم"[١] إننا إذن أمام درجة عليا من الحجة بمعنى قمة السلم الحجاجي في البيان والإيضاح، ويأتي اسم الفاعل التالي ليكمل درجة الحجة ويعطي حكما عاما نافذا، إنه اسم الفاعل: (مخزي) قال ابن عطية :" ثم أعلمهم بحكمه بخزي الكافرين، وذلك ختم إما في الدنيا وإما في الآخرة"[٢] إنه قمة السلم الحجاجي الذي يدل عليه هذا المشتق (مخزي) لا سيما بعد نفي القدرة عن إعجاز الله في اللفظ الذي قبله (معجزي الله) فهو " اسم فاعل من أعجز فلانا إذا جعله عاجزا عن عمل ما، فلذلك كان بمعنى الغالب والفائت، الخارج عن قدرة أحد، فالمعنى أنكم غير خارجين عن قدرة الله "[٣] فقد بلغ بذلك الحكم غايته، حيث البراءة، فالإعلام بقدرة الله المهيمنة وعدم الخروج عنها، ثم الحكم الأخير بخزي المعاند المكابر المشركين والمنافقين، فالخطاب في السورة ركز على إبرار الصفة لأنها " أكثر استعدادا من الأفعال والأسماء لا لتقويم العالم والحكم عليه فحسب، وإنما أيضا لوضع هذا العالم في مراتب متفاوتة، وهو ما يبرز بجلاء نزوع المعجم القرآني في التقويم والمفاضلة بين الأشخاص والأعمال والأشياء، وهذا التقويم التفاضلي يكسب الخطاب القرآني بعدا حجاجيا أظهر وأعمق"[٤]، فلدينا سلمان

(١) تفسير ابن عاشور. ج١٠ . ص ١٧ .

(٢) تفسير ابن عطية . ص ٨٢٣ .

(٣) تفسير ابن عاشور. ج١٠ . ص ١٥ .

(٤) الحجاج في القرآن . ص ١٤٦ .

حجاجيان متداخلان من خلال الدلالة المباشرة لصيغة الفاعل، ودلالتها على الحدث، ومن خلال التراتب بينها في بنية الجملة، ويوضحه الشكل التالي :

بريء	←	**معجز**	←	**مخزي**
يبرأ		**يعجز**		**يخزي**
برئ		**أعجز**		**أخزى**

إن الخطاب الحجاجي يتميز بأنه " يحتوي ملفوظين اثنين على الأقل : م١ و م٢، حيث يساند أحدهما بتعزيز وإسناد الآخر "[١] لتتكون من ذلك نتيجة الحجاج وهي الوصول إلى قمة التأثير والإقناع . ويكشف لفظ (صاغرون) عن سلم حجاجي ينتهي إلى قمة الضعف والذلة لهؤلاء المشركين، بعد قتالهم والانتصار عليهم، يقول أبو السعود موضحا دلالة اسم الفاعل هذا في بناء السلم الحجاجي :" أي أذلاء، وهو أن يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب، ويسلمها وهو قائم، والمتسلم جالس ويؤخذ بتلابيبه ويقال: أد الجزية"[٢]، إنها قمة الذلة في تصوير مؤثر مقنع لا يؤديه إلا اسم الفاعل (صاغرون)، وإذا أضفنا إليه صيغة الجمع أدركنا قمة ذلك الإذلال الواقع على جملتهم، ولم يكن إلا بعد قتال شديد وانتصار مبين.

---

(١) المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية . رشيد الراضي . المركز الثقافي العربي . الدار البيضاء – المغرب . الطبعة الأولى ٢٠١٤ . ص ٧٧ .

(٢) تفسير أبي السعود .ج٤ . ص٥٨ .

ولم تتوقف صيغة اسم الفاعل في السورة لبيان الموقف من المعاندين من المشركين والمنافقين، بل نجده يكشف عن صفات المؤمنين في تراتب حجاجي متصاعد في قوله تعالى: (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) التوبة (١١٢)، إن أسماء الفاعل المتنوعة هنا تحمل سلما حجاجيا في ذاتها من خلال دلالة اسم الفاعل؛ لأن اسم الفاعل لا يستعمل لمجرد الإخبار، بل لقيمة حجاجية هي لزوم الوصف[١]، وهي كذلك تحمل سلما حجاجيا تراتبيا فيما بينها ترتقي هذه الصفات بالمؤمن تباعا إلى أعلى درجة الكمال وإلى ذلك يشير المهايمي بقوله :" التائبون عن الكفر والمعاصي، ولا بد لهم من عبادة الله فهم العابدون بأنواع العبادات، ولا بد لهم من الصلاة التي لا تجزئ إلا بفاتحة الكتاب، فهم الحامدون لله بجميع المحامد، فلا بد لهم من النظر في كمالاته المنتشرة في العالمين، فهم أمروا بهذا النظر، هم السائحون: أي السائرون في العالمين، وإذا رأوا كمالات الأشياء له انكسروا لعظمته، وتذللوا لكمالاته، فهم الراكعون الساجدون، ولحبهم كمالاته يرفعون النقائص عن العالمين، فهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، وإنما يحصل بذلك الكمالات إذ يحصل لهم الاعتدال، فهم الحافظون لحدود الله "[٢]؛ فحفظ حدود الله هو قمة السلم الحجاجي التراتبي بين هذه الصفات الفاضلة لأن هذه الصفة " جامعة للعمل بالتكاليف الشرعية عند توجيهها، وحقيقة الحفظ توخي بقاء الشيء في المكان الذي يراد كونه فيه رغبة من صاحبه في بقائه ورعايته عن أن يضيع، ويطلق مجازا شائعا على ملازمة العمل بما يؤمر به نحو ما أمر به، وهو المراد

(١) انظر: استراتيجيات الخطاب . ج ٢ . ص ٢٧٢ .

(٢) تفسير المهايمي . ص ٣١٦ .

هنا أي والحافظون لما عين الله لهم أي غير المضيعين لشيء من حدود الله "[١] وذلك الحفظ يتسق مع حفظ ما أمروا به سابقا من نبذ العهد إلى الكفار وعدم الانخداع بالمنافقين، وهنا يتعانق السلمان : سلم خطاب السورة وسلم هذه الصفات.

ج – سلم الدلالة المعجمية :

يحدث هذا السلم من خلال التفاضل بين صفات المفردات ودلالاتها المعجمية ؛ وذلك أن الدلالة المعجمية للملفوظ لها أهمية حجاجية في خلق حلقة اتصال بين المستوى السطحي الشكلي، والمستوى العميق للملفوظ الذي يرتبط بسياق الخطاب ومجاله التداولي ؛ فالتفاضل إذن يبدأ من الدلالة الأولية المعجمية ثم يتصاعد من خلال موقع اللفظ في التركيب، ولنا أن نركز الاهتمام في سورة التوبة على مجموعة من المفردات ؛ فمنها : (سيحوا[٢] و أبلغه[٣]) يشير أبو السعود إلى ارتقاء اللفظ الأول في السلم الحجاجي المعجمي بقوله :" السياحة والسيح الذهاب في الأرض، والسير فيها بسهولة على مقتضى المشيئة، كسيح الماء على موجب الطبيعة، ففيه من الدلالة على كمال التوسعة والترفيه ما ليس في سيروا ونظائره، وزيادة قوله تعالى(في الأرض) لقصد التعميم لأقطارها من دار الإسلام وغيرها"[٤] فلفظ(سيحوا) يقع في قمة السلم الحجاجي، بل ويرتقي إذا أضفنا إليه دلالة أخرى يشير إليها ابن عاشور، وهي أن المراد " السير بأمن دون خوف أي مكان من الأرض ليس هو السير في أرض قومهم

(١) تفسير ابن عاشور . ج١٠ . ص ٢١٢ .

(٢) الآية .٢ .

(٣) الآية. ٦ .

(٤) تفسير أبي السعود . ج ٤ . ص ٤٠ .

"[١] ؛فهذا الأمر يُذهب ترقب الحرب والمواجهة، وبذلك ندرك كيف رفعت دلالة اللفظ(سيحوا) السلم الحجاجي، وقوت الحجة من خلال الملفوظ ذاته "لتحيق أقصى طاقة إنجازية لهذه المنطوقات بما يعطيها المصداقية الكافية بالإضافة إلى خلق الباحث النفسي لتصديق النص الحجاجي والأخذ به باطمئنان "[٢]، وهذا جزء من أسلوب القرآن الكريم المعجز.

أما اللفظ الثاني (أبلغه) فهو ذو دلالة عليا في المعجم، قال صاحب المفردات :" البلوغ والبلاغ الانتهاء إلى أقصى القصد والمنتهى مكانا أو زمنا أو أمرا من الأمور المقدرة"[٣] ؛ إن الأمر يتجاوز الذهاب والوصول إلى مرحلة البلوغ ولو بعد مدة طويلة ؛ " فحرف العطف (ثم) هنا للتراخي الزمني اهتماما بإبلاغه مأمنه ؛ فنحن أمام بلوغ مكاني وبلوغ زمني، وهما قمة السلم الحجاجي، ويمكن توضيح ذلك من خلال الشكل التالي :

سياحة ↑ بلوغ ↑

سير ↑ وصول ↑

ذهاب ↑ ذهاب ↑

---

(١) تفسير ابن عاشور . ج ١٠ .ص١٤ .

(٢) المعجم اللغوي والتواصل . ص ١٠٤ .

(٣) المفردات في غريب القرآن . للراغب الأصفهاني .ضبطه وراجعه . محمد خليل عيتاني . دار المعرفة . بيروت – لبنان ط . السابعة ٢٠١٤ . ص ٧٠ .

وبهذا يتآزر اللفظان في رفع الدلالة والوصول إلى قمة السلم الحجاجي، المتسق مع فضاء خطاب السورة وأسلوبها العام؛ فالمتلقون للخطاب " يتأثرون بمشاعرهم أكثر مما يتأثرون بعقولهم ، فهم في حاجة إلى وسائل الأسلوب أكثر من حاجتهم إلى الحجة "[١] وهذا ما نراه من خلال أسلوب السورة، وورود مثل هذه الملفوظات التي تمثل قمة الدلالة، ومن ثم قمة السلم الحجاجي المؤثر.

وننتقل إلى دلالات معجمية أخرى تنطلق من أعماق النفس الإنسانية، ومشاعرها، وذلك في ألفاظ (يشفي[٢]، غيظ[٣]، يجمحون[٤]، سقطوا [٥]، فرح[٦]، فليضحكوا ، وليبكوا[٧]) فقوله تعالى: (ويشف صدور قوم مؤمنين) يأتي بعد درجة ثانية وهي قوله تعالى:(ويذهب غيظ قلوبهم)، والدلالة الصفر لهذا المعنى نجدها في لفظ "الكره" المفقودة في هذه الآية؛ فحركة النفس تتصاعد حسب السلم الحجاجي المعجمي من خلال الكره - شفاء الصدور - ذهاب الغيظ . وشفاء الصدور يراد به" ما يحصل من المسرة والانشراح والأنس بالنصر والمراد بذهاب الغيظ استراحتهم من تعب الغيظ وتحرق الحقد "[٨]، فنحن أمام سلم حجاجي معجمي

---

(١) في بلاغة الخطاب الإقناعي . ص ٩٧ .

(٢) الآية ١٤ .

(٣) الآية ١٥ .

(٤) الآية ٥٧ .

(٥) الآية ٤٩

(٦) الآية ٨١ .

(٧) الآية ٨٢ .

(٨) تفسير ابن عاشور .ج١٠ .ص ٤٢ .

تتحرك فيه نفوس المؤمنين عبر دلالة المفردات صعودا من درجة كره الكافرين الذي لم تشر إليه الآيات ؛ لأنه درجة الصفر في الدلالة ، ثم تبرز الآية الدرجة الثانية : شفاء الصدور ثم الدرجة الثالثة : ذهاب الغيظ ، واستقرار النفس ، وبجانب هذا السلم سلم آخر يخص نفوس المشركين : (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤)، فلدينا تصاعد دلالي عبر مفردات المعجم يوضحه الشكل التالي :

يذهب غيض قلبهم ↑ ↓ الهزيمة (وينصركم عليهم)

يشفي الصدور ↑ ↓ يخزهم

كره المشركين ↑ ↓ يعذبهم

قاتلوهم

من خلال الشكل السابق نجد سلمين حجاجيين من خلال المفردات اللغوية ؛ لتصوير تصاعد المشاعر لكلا الفريقين ، فأحدهما يرتقي إلى الراحة والهدوء ، والآخر إلى العذاب والهزيمة ؛ لأن من قوانين السلم الحجاجي قانون الخفض ومقتضاه " أنه إذا

صدق القول في مراتب معينة من السلم فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تحته"[١] وهذا يتفق مع خطاب السورة التي تميز بين المؤمنين والكافرين وتضع فاصلا بين الفريقين .

وإذ كان هذا يخص المشركين والمؤمنين فإن من الآيات ما اختص بالمنافقين، وتتميز ألفاظ السورة بتوضيح خوافي نفوسهم، ومن ذلك (يجمحون، سقطوا، فليضحكوا، وليبكوا، فرح المخلفون) فنجد فيها حركة الذات ذهابا وإيابا، صعودا ونزولا ؛ فلفظ (يجمحون) " حقيقته النفور، واستعمل هنا تمثيلا للسرعة مع الخوف"[٢] ؛ فاللفظ في أعلى سلم الدلالة المعجمية، فما يمارسه المنافقون لاتقاء الحرب والجهاد ليس ذهابا أو هربا، بل جموحا لا يلوون على شيء" فهم يسرعون بحيث لا يردهم شيء. من الفرس الجموح وهو الذي لا يثنيه اللجام، وفيه إشعار بكمال عتوهم وطغيانهم"[٣]، أما كلمة (سقطوا) فقد جاءت موحية بأعلى سلم الهلاك المرغوب في الفرار منه، قال صاحب المفردات : " السقوط طرح الشيء من مكان عال إلى مكان منخفض"[٤] ؛ فالسقوط في الفتنة " تنزيل لها منزلة الهوة المهلكة المفصحة عن ترديهم في دركات الردى أسفل سافلين "[٥]، هذه المفردة إذن تحمل أعلى دلالات التردي الذي لا نجاة منه، وهو السقوط، وهي دلالة لا تمثلها مفردات : وقع أو هوى وغيرها والهدف هنا إظهار قمة السقوط المعنوي الذي تبرأوا منه" فإن

---

(١) اللسان والميزان . ص ٢٧٧ .

(٢) ابن عاشور .ج١٠ .ص ١٢٤ .

(٣) تفسير أبي السعود .ج٤ . ص ٧٥ .

(٤) المفردات . ص ٢٤٠ .

(٥) تفسير أبي السعود .ج ٤ . ص ٧٢ .

لكل وظيفة، أو حرفة معاجم حجاجية خاصة بها، كما أن لكل وظيفة أو حرفة أنماطا استعمالية خاصة تقتضيها طبيعتها، مع وجود عناصر عامة، أو جانب عام مشترك بينها"[١] ؛ ولذا فإن هذا اللفظ يصل بالدلالة إلى منتهاها، مما يكون له الأثر الواضح والإقناع القوي المضمن معنى الزجر والتحذير.

ونتوقف أخيرا عند (فرح ، فليضحكوا ، وليبكوا) التي تمثل مشاعر عميقة، تخص فئة من الناس، وهم المنافقون الذين تتولى السورة كشف خفاياهم، وإيضاح دخائل أنفسهم، (فرح) الفرح كما يقول صاحب المفردات هو:" انشراح الصدر بلذة عاجلة وأكثر ما يكون ذلك في اللذات البدنية" [٢]،فقد تعلقوا بهذه اللذة البدنية العاجلة وهي التخلف عن الجهاد مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم - إن هذه اللفظة تكشف مشاعر الفرح تلك التي ستتحول إلى سلوك في اللفظة التالية: (فليضحكوا) بمعنى الوصول إلى قمة الفرح من خلال الضحك، وهو قمة السلم الحجاجي الذي يلزمهم بالحجة بهذا الضحك الظاهر، بعكس الفرح الباطن، ولا شك أن حديث القرآن عن ذلك التسلسل من المشاعر ملزم لهم بالحجة، وكاشف لهم أجل الكشف، قال ابن عاشور معلقا على العلاقة هنا :" تفريع كلام على الكلام السابق من ذكر فرحهم ... والضحك هنا كناية عن الفرح، أو أريد ضحكهم فرحا لاعتقادهم ترويج حيلتهم على النبي – صلى الله عليه وسلم - إذ أذن لهم بالتخلف"[٣]،

---

(١) المعجم اللغوي والتواصل الحجاجي . د. علي محمد الصراف . مجلة العلوم الإنسانية . قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة الكويت . العدد ٢٦ . شتاء ٢٠١٥ .ص ١٠٩ .

(٢) المفردات . ص ٣٧٧ .

(٣) ابن عاشور . ج١٠ .ص ١٦٨ .

فالضحك هو قمة السلم الحجاجي وكاشف لمشاعر مكبوتة، سواء أكانت فرحا بالتخلف أم كانت فرحا بالحيلة ونجاحها، وهو أشد، وهو المرجح هنا؛ بسبب الآية الأخرى التي تعاتب النبي صلى الله عليه وسلم :(عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ) التوبة (٤٣) وكذلك قولهم في الآية الأخرى :(وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ) التوبة(٦١)، والسلم الحجاجي بهذا المعنى يكون أقوى في الحجة؛ لأنه يكشف خدعة ومؤامرة أحيكت؛ ولأن الضحك فيه يكون أشد دلالة على الفرح، وفيه نوع من السخرية الاستهزاء المتسق مع أسلوب المنافقين المكشوف في هذه السورة؛ فالضحك" كيفية في الفهم تتمدد منها الشفاه وربما أسفرتا عن الأسنان ، وهي كيفية تعرض عند السرور والتعجب من الحسن"[1] وهو هنا يتناسب وحالة الاستهزاء المذكورة عنهم؛ وبهذا يكون كشف سبب هذا الضحك بمنزلة إبطال الحيلة وتوضيح خيوط المؤامرة، ومن ثم ينقلب الضحك إلى بكاء كثير في سلم حجاجي آخر:(فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) التوبة (٨٢)، والطريف هنا أن كلا السلمين يحتويان على قفزات لفظية، أو إغفال لدرجة معينة من السلم : ففي سلم الضحك تغفل درجة التبسم، أما في سلم البكاء فتغفل درجة الحزن المقابلة للفرح، ودرجة الدمع السابقة على البكاء، كما يوضحه الشكل التالي:

ضحك ↑ ↑ البكاء

ابتسم ↑ ↑ الدموع

فرح ↑ ↑ حزن

(١) السابق . الصفحة نفسها.

ودلالة ذلك هي المسارعة في الرد عليهم، وكأنهم قفزوا إلى قمة سلم البكاء لشدة الخسارة، وضياع الأمل ، ومشاهدة العذاب . ويلفت النظر وجود سلم البكاء في موضع آخر من السورة، وهو بكاء الضعفاء، الذين لا يجدون ما ينفقون: (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ) التوبة (٩٢)، إننا أمام سلم حجاجي لحالة بكاء آخر، وحزن آخر مضاد لضحك المنافقين، وهو سينقلب إلى ضحك في الآخرة، وحالة البكاء يأتي التعبير عنها بصيغة (وأعينهم تفيض من الدمع) وهو تعبير أبلغ لبيان شدة الحزن، فكأن العيون أصبحت دمعا فياضا، وهو سلم حجاجي معاكس لسلم حالة المنافقين ؛ فالسورة تعرض ذواتا متقابلة ومشاعر متعاكسة، كل ذلك من خلال بناء سلم حجاجي معجمي، لكشف الذوات المتصارعة وخفايا النفوس ؛ لبناء قاعدة متينة من المجتمع المسلم .

ثانيا : سلم الروابط الحجاجية :

تبرز القيمة الحجاجية في الخطاب من خلال أدوات لغوية لا تمتلك في ذاتها قيمة معنوية، بل يكون "دورها هو الربط الحجاجي بين قضيتين وترتيب درجاتها بوصف هذه القضايا حججا في الخطاب "[١]، ويعرف رشيد الراضي الرابط الحجاجي بأنه " صريفة تصل بين ملفوظين أو أكثر تم سوقهما ضمن استراتيجية حجاجية بعينها"[٢]،

(١) استراتيجيات الخطاب . ج ٢ . ص ٢٩٥ .

(٢) المظاهر اللغوية للحجاج .ص ١٠٤ .

والرابط الحجاجي من أهم استراتيجيات الخطاب في سورة التوبة، ويمكننا تناول ذلك من خلال ما يلي :

أ – **حتى :** [١] ونجدها في مجموعة من الآيات الكريمة من سورة التوبة[٢]، فعند الأمر بإجارة أحد المشركين جعلت نهاية تلك الإجارة سماع كلام الله : (فأجره حتى يسمع كلام الله)، إن (حتى) هنا تصل بالأمر إلى نهايته بسماع كلام الله، يقول ابن عاشور عند هذه الآية : " فإذا سمع كلام الله فقد تمت أغراض إقامته ؛ لأن بعضها من مقصد المستجير، وهو حريص على أن يبدأ بها، وبعضها من مقصد النبي – عليه الصلاة والسلام - وهو لا يتركه يعود حتى يعيد إرشاده، ويكون آخر ما يدور معه في آخر إقامته سماع كلام الله تعالى"[٣]، فهنا سلم حجاجي من خلال الرابط (حتى)، حيث تبلغ الإقامة نهايتها، والدعوة ذروتها بسماع كلام الله، وتقوم الحجة ببلوغ السلم

---

(١) قال ابن هشام في مغني اللبيب : " (حتى) حرف يأتي لأحد معان : انتهاء الغاية وهو الغالب، والتعليل، وبمعنى إلا في الاستثناء، وهذا أقلها وقل من يذكره " مغني اللبيب عن كتب الأعاريب . لابن هشام الأنصاري . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .المكتبة العصرية . بيروت – لبنان .١٩٨٧. ج١ .ص ١٣١ . وفي أوضح المسالك : " هي حرف لانتهاء الغاية مكانية أو زمانية ...وإنما يجر بحتى في الغالب آخر أو متصل بآخر" أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك . لأبن هشام الأنصاري . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .المكتبة العصرية. بيروت – لبنان .د - ت . ج ١ . ص ٤٧ .ومن هذا الكلام تتضح القيمة الحجاجية للرابط (حتى)، حيث إفادتها انتهاء الغاية، بمعنى قمة السلم الحجاجي، بل إن جرها للآخر أو ما اتصل به يزيد في قيمتها الحجاجية، ويرتفع بها الخطاب إلى أعلى درجات السلم الحجاجي .

(٢) الآيات (٦ – ٢٤ – ٢٩ – ٤٨ – ١١٠)

(٣) تفسير ابن عاشور .ج١٠ .ص ٢٦ .

الحجاجي أعلاه ؛ لأن الرابط الحجاجي " هو المحرك للعلائق الحجاجية داخل الملفوظ ذاته، وداخل القسم الحجاجي حتى ينزل الملفوظ في درجته الحقيقية من السلم الحجاجي ؛ فيكون أقرب تحقيقا للمفهوم والنتيجة "[١]، ويتضح هذا التحرك في الآية التالية، قال تعالى: (قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) التوبة (٢٤) ، قال أبو السعود عند هذه الآية: " المراد بأن يثبت الله المؤمنين ويقوي عزائمهم على الانتهاء عما نهوا عنه من موالاة الآباء والإخوان ويزهدهم فيهم، وفيمن يجرى مجراهم من الأبناء والأزواج، ويقطع علائقهم عن زخارف الدنيا وزينتها"[٢] ؛ فالأمر في هذه الآية يتحرك خلال الخطاب عن طريق العامل والرابط[٣] الحجاجيين : أولا : من خلال الشرط الذي عادة ما يفيد الأسلوب الاستلزامي الذي يشكل قاعدة ينبني عليها ما سوف يتم تقريره لاحقا[٤]، وهو هنا (حتى يأتي الله بأمره)، وثانيا: من خلال (حتى) التي جاءت في نهاية تحرك الأمر ليكون قمة السلم الحجاجي، ويضاف إلى ذلك إبهام الأمر الآتي فهو يتصاعد من خلال العديد من الدلالات المبهمة المؤثرة في المتلقي ؛ فالأمر " مبهم بمعنى الشيء والشأن، والمقصود من

---

(١) العوامل الحجاجية في اللغة العربية . ص ١٣٤ .

(٢) تفسير أبي السعود .ج٤ .ص ٥٤ .

(٣) الفرق بين العامل والرابط هو: أن العامل الحجاجي هو " الذي يربط بين وحدتين دلاليتين داخل فعل لغوي بعينه، فهو على هذا الأساس موصل قضوي، أما الرابط فهو الذي يربط بين فعلين لغويين اثنين ، ومن ثم فهو موصل تداولي " المظاهر اللغوية للحجاج .ص ١٠٠ .

(٤) انظر : المظاهر اللغوية للحجاج .ص ١٢٣ .

هذا التهويل لتذهب نفوس المهددين كل مذهب محتمل"[١]، إن هذا الخطاب القوي الموجه للمؤمنين إن قدموا تلك المحبة متسق مع جو الخطاب للسورة عامة فجاء من خلال تصاعد سلمي يوضحه الشكل التالي :

(إبهام) بأمره ↑

(رابط حجاجي) حتى يأتي الله بأمره ↑

(شرط استلزامي) قل إن كان آباؤكم ... ↑

وهذا التصاعد السلمي نجده أيضا في موضع آخر عند الأمر بقتال المشركين حتى يصل بهم إلى قمة الهزيمة والذلة :(حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)، إن قيمة (حتى) في الخطاب هي تقوية تيقن المتقبل بالنتيجة، بل إن العامل مثل ذلك يرسم صورة المسلك الذي ينبغي أن يقطعه للوصول إلى النتيجة، وهو في أثناء ذلك كله يقوي النتيجة التي يروم الملفوظ إيصالها، وهي هنا عدم الرضى إلا بإعطاء الجزية بصورة هي قمة الضعف والاستسلام .

الواو :[٢] وتبرز الواو رابطا حجاجيا في السورة من خلال قضيتين مهمتين هما :

---

(١) تفسير ابن عاشور .ج١٠ .ص ٥٧ .

(٢) الواو عند النحاة : حرف عطف لمطلق الجمع بين المتعاطفين ، ولذلك اختصت بأنها يعطف بها حيث لا يكتفى بالمعطوف عليه . انظر : شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري . دار الفكر. ج ٢ . ص ١٣٦ . ومن هنا فإنها تحمل قيمة حجاجية ، تكمن في سلم حجاجي =

أ – قضية الفصل بين مجموعة من الفئات التي ظهرت بسبب غزوة تبوك ؛ فقد صنفت السورة الناس وكشفت أستار المنافقين ؛ فتكررت الواو مع الجار والمجرور (منهم) في آيات(٤ -٥٨ -٦١ -٧٥) وهي في كل المواضع حرف عطف[١]، لبيان حالة تلك الفئة – المنافقين– ففي الآية الأولى طلب الإذن بالتخلف عن الجهاد مخافة الفتنة، وفي الثانية :الاستهزاء بالصدقة، وفي الثالثة : إيذاء النبي – صلى الله عليه وسلم – قال ابن عاشور عند هذه الآية : " عطف على ذكر خلق آخر من أخلاق المنافقين، وهو تعللهم على ما يعاملهم به النبي والمسلمون من الحذر"[٢] وفي الرابعة: الحلف الكاذب بالتصدق والبذل[٣]، إن الواو في هذه الآيات هي التي تجمع هذه الصفات لهم، بمعنى رصد مجموعة من الحجج المتسلسلة الموصلة إلى نتيجة حجاجية هي إبراز المنافقين وكشف خفاياهم ؛ لأن طبيعة الواو الحجاجية تنطلق من مقولة "الاشتراك في الحجج الموصلة إلى حكم واحد ألا وهو النتيجة"[٤]، وهي هنا النفاق الصراح، والملاحظ في هذه الصفات أنها متسلسلة متصاعدة : فمن الطلب

=

عن طريق تشارك الصفات وتآزرها .

(١) انظر : إعراب القرآن الكريم وبيانه . محيي الدين الدرويش . دار ابن كثير . دمشق – بيروت . ط الأولى ١٩٩٥ . ج٤ .ص ١١٧ .

(٢) تفسير ابن عاشور .ج١٠ . ص ١٣٣ .

(٣) قيل أنزلت هذه في الصحابي ثعلبة بن حاطب، وقيل في معتب بن قشير، وضمائر الجمع في الآية راجع إلى مجموعة المنافقين، وعليه فالصفة لهم وليست لشخص بعينه . انظر: تفسير ابن عاشور .ج.١٠ .ص ١٦٠ . وكتاب : ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه . عداب محمود الجمش . دار بدر للنشر والتوزيع . ط الثانية ١٤٠٦ .

(٤) العوامل الحجاجية . ص ١٥٣ .

المؤدب بالتخلف، والتعليل له بخشية الفتنة، ثم درجة الاستهزاء بشعيرة الصدقة، والتصاعد إلى إيذاء النبي لسوء تقديرهم لأخلاقه الكريمة مع أصحابه، وأخيرا الحلف بالصلاح والتصدق، ولعل ذلك بعد اكتشاف أمرهم من خلال الصفات السابقة، ويوضح الشكل التالي هذا السلم الحجاجي:

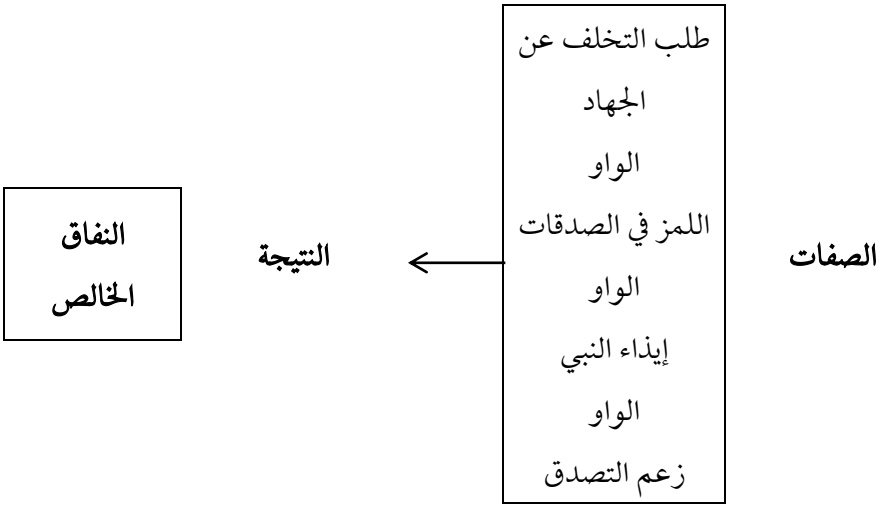

ب – قضية التوبة، وهي قضية تضاد القضية السابقة، وتشغل حيزا كبيرا من خطاب السورة؛ فتبرز في هذه السورة لمجموعة من الناس هم في مقابل المنافقين، وهم : النبي – صلى الله عليه وسلم – والمهاجرين والأنصار، ثم الثلاثة الذين خلفوا، فالواو هنا تمثل السلم الحجاجي الذي يشرك هؤلاء في التوبة، ولا سيما الثلاثة الذين يمثلون قمة السلم الحجاجي

في التوبة فهم المستثنون من الذين خلفوا ؛ فالتوبة عليهم خاتمة التوبة في السورة، ومن بقي من المخلفين فهم المنافقون الذين تولت السورة بيانهم عبر سيرورتها الخطابية، قال تعالى: (لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) التوبة (١١٨)، إن في التوبة عن الثلاثة كمال للتوبة كما يقول المهايمي[١]، فالثلاثة معطوف على النبي[٢]، فهم مشاركون في هذه التوبة من خلال حرف العطف الواو، وهم كذلك قمة التوبة لأنها خاصة، بمعنى الوصول إلى قمة السلم الحجاجي من خلال الرابط الحجاجي المهم الواو.

ثالثا : السلم الحجاجي البلاغي :

ينطلق هذا السلم من مفهوم الفعل الكلامي وكونه يهدف إلى التأثير الإقناع، وهذه الدرجة ترتفع في الأساليب البلاغية المتنوعة ؛ فالنظام البلاغي " يوفر للملفوظ قيمة حجاجية مضافة عبر تلوّنات جهازه ليحتل درجة مهمة في السلم الحجاجي، وبالتالي يكون ذا طاقة حجاجية تدفع المتقبل إلى الإذعان والتسليم"[٣]، وهذا السلم يكمن في

(١) انظر : تفسير المهايمي.ج ١ . ص ٣١٧.

(٢) انظر تفسير ابن عاشور .ج ١٠ . ص٢٢٠ .

(٣) العوامل الحجاجية في اللغة العربية . ص ١٢٧ .

طبقات الدلالة للملفوظ وما يثيره أمام حواس المتلقي من طرائق للتأثير، وتبرز تلك الطرائق في سورة التوبة من خلال ما يلي :

أ -الاستعارة[١]: ونجدها في مجموعة من الآيات الكريمة: (٥ – ٤١ – ٤٩ – ٥٧ – ٦١)، ففي الآية الأولى صورة انسلاخ الأشهر الحرم وذهابها، وهي صورة موحية بالخروج المتدرج والكشف التام " كانسلاخ الشاة عن الجلد والرجل عن الثياب ...فشبه انصرام الأشهر بأسمائها وأحكامها من الزمن بذلك"[٢]، ويشير أبو السعود إلى فائدة التعبير الاستعاري بقوله :" أي انقضى، استعير له من الانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده ... والمعنى إذا انقضى الأشهر الحرم وانفصلت عما كانت مشتملة عليه وساترة له انفصال الجلد عن الشاة وانكشفت عنه انكشاف الحجاب "[٣]، إننا إذن أمام قمة السلم الحجاجي من خلال التعبير الاستعاري، حيث المراد ليس ذهاب الأشهر الحرم زمنيا، بل ذهابها وانكشاف واتضاح ما كانت تستره من العهود والمواثيق، التي بطلت بعد ذهابها، وهنا تكمن قيمة الاستعارة فهي "أقدر الأساليب على إمداد الخطاب بقوة التفرع والتكاثر "[٤] ؛ فتكون أكثر تأثيرا وإقناعا، من حيث وعي المتلقي بتبعات هذه

---

(١) الاستعارة كما يفهم من كلام البلاغيين هي المجاز المركب، مما يدل على وجود صورة متخيلة من خلال مقارنة المشبه والمشبه به . انظر: المطول شرح تلخيص المفتاح . سعد الدين التفتازاني . تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي . دار الكتب العلمية . بيروت – لبنان . ط . الثانية ٢٠٠٧ ..ص ٦٠٤ .وهذا يدلنا على قيمتها الحجاجية من خلال تجاوز المعنى المجرد إلى نوع من التصوير المدرك بالذهن .

(٢) تفسير ابن عطية .ص ٨٢٦ .

(٣) تفسير أبي السعود .ج٤ . ص ٤٣ .

(٤) اللسان والميزان . ص ٢٩٥ .

الاستعارة، ولذلك جاء الأمر بعدها بالقتال ؛ فالعبرة ليست في الذهاب الزمني للأشهر الحرم، بل في ذهاب ما كان متلبسا بها زمنيا.

وهذا التكاثر والتوالد الدلالي يتضح في الآية التالية، قال تعالى :(انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) التوبة (٤١)، (خفافا وثقالا) حالان مستعاران لدلالات متعددة؛ فقد يراد بهما الإسراع والبطء الحسيين، أو يراد قلة العدد وكثرته، أو الخفة تعني تكرر الهجوم على العدو، والثقل الثبات أمامه، فكل تلك المعاني صالحة[1] ؛ فالاستعارة هنا تمدنا بكم هائل من الدلالات، أو قل التوالد الدلالي، وكلها تصل في النهاية إلى دلالة المغالبة والمجاهدة في سبيل الله، والاستمرار في ذلك، والصبر على ما في ذلك من المشقة، وهذا متسق مع الاستعارة السابقة، بمعنى الخروج من زمن الراحة في الأشهر الحرم إلى الجهاد والصبر بعدها، لا سيما بعد أن عاتبت الآية التي قبل هذه التثاقل عن الجهاد: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ) التوبة (٣٨)، (اثاقلتم) "حالة في الجسم نقتضي شدة تطلبه للنزول إلى الأسفل ... وفيه تعريض بأن بطأهم ليس عن عجز، ولكنه تعلق بالإقامة في بلادهم وأموالهم"[2]، إنها صورة المتشبث بالأرض، وهي قمة الزجر والعتاب؛ لأن من أهمية الاستعارة

(١) انظر : تفسير ابن عاشور . ج١٠ ص ١٠٤ .

(٢) تفسير ابن عاشور . ج١٠ ص ٩٥ .

حجاجيا أنها " تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي "[١]، وهو ما نجده في بناء الاستعارات السابقة .

وإذا انتقلنا إلى شأن المنافقين الذي تحدثت عنه أغلب آيات هذه السورة، وجدنا أحوالهم تبرز في صورة الاستعارة، ففي قوله تعالى: (وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) التوبة (٤٩) نجد صورة متحركة فقد " شبه ذلك الكون بالسقوط في عدم التهيؤ له وفي المفاجأة، باعتبار أنهم حصلوا في الفتنة في حال أمنهم من الوقوع فيها، كالساقط في هوة على حين أنه ماش في طريق سهل"[٢]، إن التكاثر الدلالي في هذه الاستعارة يبلغ قمة الصورة المؤثرة والمقنعة، التي توضح حالة أولئك الذين سقطوا من حيث أرادوا النجاة، وهذه الحالة تنضم إليها حالة أخرى من خلال الاستعارة التالية:(وهم يجمحون)[٣]،إنها صورة الحيوان الجموح الذي لا يرده شيء، فالاستعارة هنا تحمل قانون الانتقاء، بمعنى " أننا نحصل على المعنى المجازي للفظ المستعار بأن نقف تصورنا على بعض أوصاف المستعار منه، مع صرف نظرنا عما عداها"[٤]وهذا ما تصوره هذه الاستعارة والتي قبلها، حيث التركيز على وصف الحيوان الجموح والساقط على وجهه من حيث أراد النجاة؛ فالاستعارة تبلغ بنا قمة السلم الحجاجي، المؤثر والمقنع، وكأن هؤلاء قد تحولوا إلى حيوان، لعدم الفهم والبحث عن النجاة الحقيقية .

---

(١) آليات الحجاج وأدواته . عبد الهادي الشهري . ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته . ج ١ . ص ١٣٤ .

(٢) تفسير ابن عاشور . ج ١٠ .ص ١١٦ .

(٣) آية ٥٧ .

(٤) اللسان والميزان . ص٢٩٩.

ولقوة المجاز في بناء السلم الحجاجي نجد الخطاب القرآني في الصورة التالية لا يلغيها، بل يصرفها إلى دلالة أخرى؛ فقد بلغ المنافقون في وصفهم للنبي – صلى الله عليه وسلم – قمة السلم الحجاجي بقولهم: (ويقولون هو أذن)[١]، أي " كأنه أذن سامعة"[٢]، وإنما أرادوا بذلك أنه يسمع كل شيء، ويصدقه، وهذا التعبير قمة في وصف السماع، حيث يتحول الكل إلى صورة الجزء، فجاء الرد عليهم ليس بالنفي، بل بإثبات هذا الوصف المتعالي في الحجاج وصرفه إلى دلالته الحقيقية التي يكابر فيها المنافقون :(قل أذن خير لكم ...) ففي هذا التعبير " إطماع لهم بالتسليم أولا ثم إيذان باليأس ثانيا، ولا شيء أبلغ من الرد عليهم بهذا "[٣] لأن تعبيرهم هو قمة السلم الحجاجي، فتنصرف إلى دلاة أخرى في الإشارة إلى الخيرية، وكرم خلق النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا يدركه المنافقون، وكأننا نستذكر ضحكهم القليل استهزاء وبكاءهم الكثير المتحقق، ومن خلال الشكل التالي يتضح هذا التحول:

هو أذن - الاستهزاء ↑ ← أذن خير لكم

يصدق أكثر الكلام ↑

يصدق بعض الكلام ↑

لا يصدق الكلام ↑

---

(١) آية ٦١ .

(٢) الكشاف . ص٤٣٩ .

(٣) إعراب القرآن الكريم وبيانه. ج٤ . ص ١٢٤ .

ب – الاستفهام: يعد الاستفهام من الأدوات المهمة في بناء السلم الحجاجي، لا سيما إذا خرج عن دلالته الأصلية؛ فهو يحمل طاقة حجاجية " توجه المرسل إليه إلى خيار واحد، وهو ضرورة الإجابة عليها، ومن ثم فإن المرسل يستعمله للسيطرة على الأحداث، بل وللسيطرة على ذهن المرسل إليه، وتسيير الخطاب تجاه ما يريده المرسل"[١]، وبالنظر إلى سورة التوبة نجدها تشتمل على ما يقارب (١٦) استفهاما[٢]، يمكن تقسيمها من حيث البعد الحجاجي ثلاثة أقسام :

١ – دلالة الإنكار: ففي الآية (٧ -٨) نجد الاستفهام بـ (كيف) وهو استفهام إنكاري "لا بمعنى إنكار الواقع كما في قوله تعالى: (كيف تكفرون بالله)، بل بمعنى إنكار الوقوع، ويكون من الكون العام "[٣] أي يحمل طاقة حجاجية توجيهية للتعامل مع أولئك، ويتكرر الإنكار في الآية (١٩) فالاستفهام فيها كما يقول الزمخشري: " إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمن أعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة، وأن يسوى بينهم"[٤] ؛ فالإنكار هنا يتصاعد من الأعمال إلى ثوابها ؛ فلا تتساوى في الجزاء، وإن حاول المشركون المساواة؛ فيبلغ الاستفهام قمة السلم الحجاجي بدلالته على الإنكار ؛ لأن من طبيعة هذا الاستفهام أن يكون في اللحظات التي يحتدم فيها الجدال في القضايا ويشتد الحوار ؛ فيكون من خلاله إسكات الخصم وظهور الحجة، ولا

---

(١) استراتيجيات الخطاب . ج ٢ . ص ١١٥ .

(٢) الآيات (٧ -٨ -١٣ -١٩ -٣٨ -٤٣ -٥٢ -٦٣ -٧١ -٧٨ -١٠٤ -١٠٩ - ١٢٤ -١٢٦ -١٢٧)

(٣) تفسير أبي السعود . ج٤ .ص ٤٤ .

(٤) الكشاف . ص ٤٢٧ .

ريب أن قريشا كانت ترى في نفسها الخيرية بقيامها بخدمة الحجاج، فكان الرد عليهم من خلال هذا الاستفهام الإنكاري .

٢ – دلالة التقرير : وهذه الدلالة نجدها في قول تعالى :((أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) التوبة (١٣)وفي قوله تعالى:(أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) التوبة (١٠٩)، ففي الأولى " دخلت الهمزة على (لا تقاتلون) تقريرا بانتفاء المقاتلة، ومعناه الحض عليها"[١] لقد اشتمل الخطاب القرآني هنا على عامل حجاجي هو(النفي) وموجه حجاجي هو(الاستفهام) فارتفع الكلام في سلمية التأثير والإقناع؛ لأن العامل الحجاجي (النفي) يحمل قانونا حجاجيا هو قانون المعاكسة، ويعني أنه " إذا كان لدينا ملفوظ نسوقه لمساندة نتيجة ما فإنه بإمكاننا أن نعتبر نفي هذا الملفوظ حجة مساندة النتيجة المعاكسة"[٢] ونفي القتال هنا يساند النتيجة المعاكسة (القتال) + الاستفهام التقريري، الذي لا يطلب منه الخبر، بل إقرار المتلقي به، وينضم إلى هذا حجة ثالثة هي: التعليل الوارد في بقية الآية حيث توضح العلة من هذا التقرير؛ فهم قد: نكثوا أيمانهم – وهموا بإخراج الرسول – وهم بدأوكم أول مرة، إنها ثلاث علل كافية لمساندة هذا التقرير ورفعه إلى أعلى درجة في السلم الحجاجي.

---

(١) الكشاف . ص٤٢٥ .

(٢) المظاهر اللغوية للحجاج . ص١١٨ .

وفي الآية الثانية الاستفهام للتقرير، وقد ورد في سياق استعارة تقوى بها الحجة، فنحن أمام صورة لبنيانين، أحدهما: أسس على أرضية صلبة من التقوى والصلاح، والآخر أسس على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم، إن الخطاب تتآزر فيه عمليتان حجاجيتان : استفهام تقريري يرفض المساواة، وصورة متحركة مؤثرة، وبذلك يرتفع الخطاب في سلميته.

٣ – الاستفهامات المغلقة[(١)]: وهي تضم تسع استفهامات من جملة الاستفهام في هذه السورة، والعدد كبير؛ لأن خطاب السورة كما اتضح من خلال السلم الحجاجي ينحو نحو القطع في الأمور، ووضع حلول جذرية لما طرأ في مجتمع المدينة بعد غزوة تبوك ؛ فهذه الاستفهامات المغلقة جاءت للسيطرة على الأحداث، وهذه السيطرة هي قمة السلم الحجاجي، الذي يميز الأسلوب الاستفهامي، الذي تكون الإجابة عنه بالإثبات أو النفي، فهي تضيق سبل الإجابة ليقع الإقرار من المتلقي من خلال إجابته، وقد تكرر هذا الاستفهام مع الفعل (يعلموا)، ومع الفعل (يأتكم)، والفعل (يرون ويراكم) وكل هذه الأفعال أفعال إنجازية يقوم بها المتلقي، ويدركها، فالاستفهام معها يلزمه بإجابة واحدة، هي أعلى السلم الحجاجي، كما أن هناك قوة إنجازية في طبيعة هذا النوع من الاستفهام تتمثل في أنه "ليس القصد منها الإجابة في

(١) والمراد به الاستفهام الذي يراد به التصديق، وأدواته هي: (هل) وبعض استعمالات الهمزة . انظر : عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح . بهاء الدين السبكي . تحقيق : د . عبد الحميد هنداوي . المكتبة العصرية . صيدا – بيروت .ط الأولى ٢٠٠٩ .. ج ١ .ص ٤٢٣ وما بعدها .

ذاتها بالإيجاب أو النفي، بل القصد أن يبلور الإجابة في عمل فعلي"[١]، وهذا ما يرمي إليه خطاب السورة الكريمة، بل الخطاب القرآني كله .

الخاتمة :

لقد تناول هذا البحث معالم السلم الحجاجي في سورة التوبة، بدءًا من السلم الخارجي لفضاء الخطاب القرآني، حيث سلم النزول المفرق، وموقع السورة منه، وانتهاء بالسلم الداخلي للسورة المتمثل في خطابها اللغوي، المكون من دلالات الاشتقاق والدلالة المعجمية، ومن الروابط الحجاجية، والسلم الحجاجي البلاغي للسورة، واتضحت في نهاية البحث والمعالجة النتائج التالية :

١ - أهمية السلم الحجاجي في الخطاب، واتساعه ليشمل فضاء الخطاب، ومؤثراته السياقية والتداولية فضلا عن مكوناته اللغوية.

٢ - قدرة السلم الحجاجي على رفع الحجج إلى الأعلى للوصول إلى النتيجة المتمثلة في التأثير والإقناع.

٣ - أهمية دراسة السلم الحجاجي للخطاب، لاسيما القرآن الكريم الذي كان لنزوله صفة خاصة، من حيث التفريق والمناسبة، والبعد التداولي والسياقي.

٤ - اشتملت سورة التوبة حسب موقعها من النزول القرآني على آليات متعددة من السلم الحجاجي، واتضح ذلك من خلال الاشتقاق والدلالة المعجمية، والروابط الحجاجية، والسلم البلاغي، المتمثل في الاستعارة والاستفهام.

---

(١) استراتيجيات الخطاب . ج ٢ . ص ١١٦ .

٥ - أهمية السلم الحجاجي حيث يبدأ من عملية الاختيار المعجمي، ورصد الاشتقاق بالمفردات.

٦ - بروز روابط حجاجية مهمة، كـ (حتى الواو) في هذه السورة ليكون أكثر في التأثير والإقناع.

٧ - تمثل السلم الحجاجي البلاغي في الصورة والاستعارة، التي تعالى من خلالها خطاب السورة، وارتقى إلى قمم السلم الحجاجي.

٨ - برز الاستفهام بدلالاته وقدرته الحجاجية المؤثرة ومقنعة.

٩ - كان المفسرون على دراية بطبيعة السلم الحجاجي، وقد اتضح ذلك من خلال تحليلهم لبعض الآيات.

المصادر والمراجع

[١] القرآن الكريم .

[٢] آلية الاشتقاق في اللغة العربية بين الإعمال والإهمال. إبراهيم الطيب . ضمن كتاب: الاشتقاق والنص: إبستيمولوجيا المصطلح وقواعد الإعمال . تنسيق د : عبد المجيد طلحة .د عبد الكريم الدخيسي.د عبد الله صغيري . منشورات فريق البحث : النص والفكر والنموذج . جامعة مولاي إسماعيل . مكناس – المغرب . ط الأولى ٢٠١٨ .

[٣] آليات الحجاج وأدواته . عبد الهادي الشهري . ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته.

[٤] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية . د / عبد الهادي بن ظافر الشهري . دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع . عمان – الأردن. ط الثانية ٢٠١٥ .

[٥] أسماء سور القرآن وفضائلها. د. منيرة محمد الدوسري . دار ابن الجوزي .الرياض . ط الثانية ١٤٢٩هـ .

[٦] الاشتقاق بين المقاربة اللغوية القديمة والمقاربة اللسانية الحديثة . د . جمال والزين . ضمن كتاب : الاشتقاق والنص أبستمولوجيا المصطلح وقواعد

الإعمال . جامعة مولاي إسماعيل – المغرب . ط الأولى ٢٠١٨ .

[٧] إعراب القرآن الكريم وبيانه . محيي الدين الدرويش . دار ابن كثير . دمشق – بيروت . ط الأولى ١٩٩٥ .

[٨] الإقناع في المناظرة . د. عبد اللطيف عادل . منشورات الاختلاف .الجزائر – الجزائر . ط الأولى ٢٠١٣ .

[٩] الانصاف في مسائل الخلاف . لعبد الرحمن بن محمد الأنباري . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . د – ت .

[١٠] أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك . لأبن هشام الأنصاري . . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .المكتبة العصرية . بيروت – لبنان .د - ت ..

[١١] البعد التداولي في الحجاج اللساني . د : بنعيسي أزابيط . ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته.

[١٢] بلاغة الخطاب الإقناعي . د محمد العمري .أفريقيا الشرق – الدار البيضاء – المغرب . ط الثانية ٢٠٠٢.

[١٣] البلاغة والخطاب . د : محمد مشبال . منشورات الاختلاف .الجزائر - الجزائر . ط الأولى ٢٠١٤ .

[١٤] التسهيل لعلوم التنزيل . محمد بن أحمد الكلبي الغرناطي الأندلسي . تحقيق : رضا فرج الهمامي . المكتبة العصرية . صيدا – بيروت .ط . الأولى ٢٠٠٣ .

[١٥] تفسير أبي السعود . المسمى : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . لأبي السعود : محمد بن محمد العمادي . دار إحياء التراث العربي . بيروت – لبنان . د– ت .

[١٦] تفسير ابن عطية . المسمى : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . لأبي

محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي . دار ابن حزم . د - ت .

[١٧] تفسير التحرير والتنوير، تفسير ابن عاشور .. محمد الطاهر بن عاشور . مؤسسة التاريخ .بيروت - لبنان .ط الأولى .ت . ..

[١٨] تفسير المهايمي . المسمى تبصير الرحمن وتيسير المنان ببعض ما يشير إلى إعجاز القرآن للعلامة : علي المهايمي . د – ت .

[١٩] ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه . عداب محمود الجمش . دار بدر للنشر والتوزيع . ط الثانية ١٤٠٦ .

[٢٠] الحجاج فعل لغوي مركب . فان إيمرين وروب غرونتدورست . ترجمة : ياسين ساوير المنصوري . ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومناهجه .إشراف : د .حافظ إسماعيلي علوي. عالم الكتب الحديث . إربد – الأردن . ط أولى ٢٠١٠.ج ٢ . ص ٤٥٥ .

[٢١] الحجاج في درس الفلسفة . مليكة غبار – أمين أمزيل – محمد رويض – علي أعمور . أفريقيا الشرق . الدار البيضاء – المغرب . ط ٢٠٠٦ .

[٢٢] الحجاج في القرآن الكريم . عبد الله صولة . دار الفارابي ، بيروت - لبنان . ط الأولى٢٠٠١ .

[٢٣] الحجاج والتواصل . فيليب بروطون . ترجمة : محمد مشبال وعبدالواحد التهامي العلمي . المركز العربي للترجمة . القاهرة . ط أولى ٢٠١٣ .

[٢٤] دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم .د : زاهر بن عواض الألمعي .ط الأولى ١٤٠٥هـ.

[٢٥] درا سات في علوم القرآن الكريم. أ – د فهد الرومي . الرياض ط ١٦ ١٤٣٠. .

[٢٦] السلالم الحجاجية . أوزفالد ديكرو . ترجمة . صابر الحباشة . ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومناهجه .

[٢٧] السيرة النبوية لابن هشام . تحقيق مصطفى السقا . إبراهيم الأيباري . عبد الحفيظ شلبي . دار المعرفة . بيروت – لبنان .ج ٣ - ٤ .

[٢٨] شرح الأشموني على الفية ابن مالك . دار إحياء الكتب العربية . د - ت .

[٢٩] شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري . دار الفكر. د - ت .

[٣٠] عدة الأدوات الحجاجية . ليونيل بلنجر . ترجمة قوتال فضيلة . ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته .

[٣١] عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح . بهاء الدين السبكي . تحقيق : د . عبد الحميد هنداوي . المكتبة العصرية . صيدا – بيروت .ط الأولى ٢٠٠٩.

[٣٢] العوامل الحجاجية في اللغة العربية . د . عز الدين الناجح . مكتبة علا الدين للنشر والتوزيع . صفاقس – تونس .ط الأولى ٢٠١١ .

[٣٣] الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسقي . عمارة ناصر . منشورات الاختلاف . الجزائر – الجزائر . ط أولى ٢٠٠٩ .

[٣٤] الكشاف . جار الله الزمخشري . اعتنى به : خليل مأمون شيحا . دار المعرفة . بيروت – لبنان . ط الأولى .٢٠٠٩ .

[٣٥] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي . طه عبد الرحمن . المركز الثقافي العربي . الدار البيضاء – المغرب . ط الثالثة ٢٠١٢.

[٣٦] مباحث في علوم القرآن . مناع القطان . مكتبة معارف للنشر والتوزيع – الرياض .ط الثالثة . ٢٠٠٠ .

[٣٧] مدخل للتعريف باللغة . إدوارد سابير . ضمن كتاب : اللغة والخطاب الأدبي . اختيار وترجمة : سعيد الغانمي . المركز الثقافي العربي – بيروت . ط الأولى ١٩٩٣ .

[٣٨] المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب .د. نعمان بوقرة . عالم الكتب الحديث. عمان – الأردن . ط الأولى ٢٠٠٩ .

[٣٩] المطول شرح تلخيص المفتاح . سعد الدين التفتازاني . تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي . دار الكتب العلمية . بيروت – لبنان . ط . الثانية ٢٠٠٧ .

[٤٠] المظاهر اللغوية للحجاج .مدخل إلى الحجاجيات اللسانية . رشيد الراضي. المركز الثقافي العربي . الدار البيضاء – لمغرب .ط الأولى ٢٠١٤

[٤١] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب . لابن هشام الأنصاري . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .المكتبة العصرية . بيروت – لبنان .١٩٨٧.

[٤٢] المفردات في غريب القرآن . للراغب الأصفهاني .ضبطه وراجعه . محمد خليل عيتاني . دار المعرفة . بيروت – لبنان ط . السابعة ٢٠١٤ .

[٤٣] النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع : محمد العبد . ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومناهجه.

[٤٤] نظرية أفعال الكلام العامة. جون أستن . ترجمة عبد القادر قنيني . أفريقيا الشرق ١٩٩١م

الرسائل الجامعية :

[٤٥] السلالم الحجاجية في القصص القرآني مقاربة تداولية . كلية الآداب والفنون . قسم اللغة العربية وآدابها . جامعة وهران ١ أحمد بن بلة . السنة الجامعية ٢٠١٤ -٢٠١٥ .

[٤٦] صورة المنافق في القرآن الكريم دراسة في الدلالات الصوتية والصرفية . سورة التوبة أنموذجا . البخاري السباعي . رسالة ماجستير . كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية . قسم الحضارة الإسلامية . جامعة وهران . العام الجامعي ٢٠٠٥ – ٢٠٠٦ .

[٤٧] مفهوم الجهة في اللسانيات الحديثة. دراسة نظرية تطبيقية على اللغة العربية المعاصرة. رسالة ماجستير. تقديم الطالب : الحاج موسى ثالث. جامعة الملك سعود. عام ١٤٢٧.

المجلات والدوريات :

[٤٨] السلالم الحجاجية وقوانين الخطاب . مقاربة تداولية . د . حمدي منصور جودي . مجلة مقاليد– جامعة بسكرة – الجزائر . العدد ١٣ سنة ٢٠١٧ .

[٤٩] المعجم اللغوي والتواصل الحجاجي . د. علي محمد الصراف . مجلة العلوم الإنسانية . قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة الكويت . العدد ٢٦ . شتاء ٢٠١٥.

[٥٠] مقاربة العنوان في النص الأدبي . جميل حمداوي . مجلة الكلمة . مجلة أدبية فكرية شهرية ألكترونية .

Sources and references:

[1] The Holy Quran.
[2] Aliyat alashtqaq fe Allogha alarabia bin Ala3mal w Alahmal, Ibrahim Al-Tayeb. Within the book: Alashtqaq w alnas: Epistemology almostalh w kwa3ed ala3mal. Coordination by: Dr. Abdul Majeed Talha, Dr. Abdul Karim Al-Dakhisi, Dr. Abdullah Saghiri, publications of the research team: alnas w alfekr w alnmozag. Moulay Ismail University. Meknes - Morocco, First Edition 2018.
[3] Aliyat Al-Hajjaj w adwatoh, Abdul Hadi Al-Shehri, within the book Al-Hajjaj mafhomo w mgalatoh
[4] istratigyat alkhtab mqaraba lghwya tdawliya. Dr. Abdul-Hadi bin Dhafer Al-Shehri, Dar Knoz Almerafa for Publishing and Distribution, Amman - Jordan. Second Edition. 2015
[5] Asmaa sewr Al Qur'an w fdailha. Dr. Munira Muhammad Al-Dosari, Dar Ibn Al-Jawzi, Riyadh. second Edition 1429 AH.
[6] Alashtqaq bin almoqarba allghwya alqdema w almoqaraba allsaniya alhdesa. Dr. Jamal Al-Zein, in the book: alashtqaq w alnas Epistemology almostalh w kwa3ed ala3mal, Moulay Ismail University - Morocco, First Edition 2018.
[7] I3rab Al Qur'an Alkreem w byanatoh. Mohieddin Al-Darwish. Dar Ibn Katheer, Damascus - Beirut, First Edition, 1445.
[8] Alaqna3 fe almonazra. Dr. Abdel Latif Adel, Manshorat alikhtlaf. Algeria - Algeria, First Edition 2013.
[9] Alinsaf fe msail Alikhtlaf. By Abd al-Rahman ibn Muhammad al-Anbari, investigation by: Muhammad Muhi al-Din Abd al-Hamid. D - T.
[10] Awdah almsalik ila Alfiya bin Malik, by Ibn Hisham Al-Ansari. Investigated by Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, al maktaba al asriya,, Beirut – Lebanon. D - T.
[11] Albo3d Altdawily fe Alhijaj Allsani. Dr: Benaissa Arrabit. Within the book Al-Hajjaj Mafhomo w mgalatoh
[12] Blaghet Alkhtab Aliqna3y. Dr. Mohamed Al-Omari, East Africa - Casablanca - Morocco. Second edition 2002.
[13] Rhetoric and discourse. Dr.: Muhammad Michbal, Al-Akhtlaf Publications, Algeria - Algeria. 2014 first edition.
[14] al-tashill li alloum al-tanzil, Muhammad bin Ahmed Al-Kalbi Al-Ghurbati Al-Andalusi. Investigation: Reda Faraj Hammami, al maktaba al asriya, Saida - Beirut, first edition 20034
[15] Tafseer Abi Al-Saud, entitled: Ershad Alaql Alsaleem ila Mzaya Al Qur'an Alkareem, by Abu Al-Saud: Muhammad bin Muhammad Al-Emadi. Dar Ehyaa Altorath Alarabi. Beirut, Lebanon. D
[16] Tafseer Ibn Attia, named: Almoharr Al-Wajeez fe tafser alketab al Aziz. For Abu Muhammad Abdul Haq bin Attia Al-Andalusi. Dar Ibn Hazm. D-T.

[17] Tafseer altahrer w altanwer, tafseer Ibn Ashour . Muhammad Al-Taher bin Ashour, Moasasat Altarekh, Beirut - Lebanon, first edition. T.
[18] Tafseer Almhami. Named: Tabsir al-Rahman w Taysir al-Mannan bba3d ma yosheer ila E3gaz Al Qur'an Alkareem llalama: Ali al-Mahatmi. D - T.
[19] Tha'labah bin Hatib, Alsahabi Almoftra Aleh, Adab Mahmoud Al-Jamsh, Dar Badr for Publishing and Distribution, second edition 1406.
[20] Hajjaj fe3l la8wi mo3arb. Van Emren w Rob Grundorst. Translated by: Yassin Sawer Al-Mansoori. Within the book Al-Hajjaj mafhomo w mnahigo. Supervised by: Dr. Hafez Ismaili Alawi, Alam alkotob alhadeth. Irbid - Jordan. First Edition 2010, Part 2, pg. 455
[21] Al-Hajjaj fe dars alfalsafa. Malika Ghbar – Ami/n Amzel - Mohamed Royed - Ali Amour, Africa of the East, Casablanca - Morocco, 2006 edition.
[22] Al-Hajjaj fe al Quran alkareem. Abdullah Soula, Dar Al-Farabi, Beirut - Lebanon, first edition 2001.
[23] Al-Hajjaj w altwasol, Philip Broughton. Translation: Muhammad Michbal and Abd al-Wahed al-Tohamy al-Alami, The Arab Center for Translation, Cairo, first edition 2013.
[24] Drasat fe altafseer almwdo3yll Qur'an alkareem, Dr. Zaher bin Awad Al-Alma'i, First Edition 1405 AH.
[25] Drasat fe ollom al Qur'an alkreem. A - Dr. Fahad Al-Roumi, Riyadh Edition 16 14300.
[26] Alslaalim AlHijajya. Oswald Decro - translation, Saber Al-Hayash. Within the book Al-Hajjaj mafhomo w mnahigo
[27] Alsera Alnabawya li Ibn Hisham. Investigated by Mustafa Al-Sakka, Ibrahim Al-Asari, Abdel Hafeez Shalabi, Dar Al-Maarifa, Beirut - Lebanon, vol. 3-4.
[28] Shar7 Al-Ashmouni ala Alfiya Ibn Malik, Dar Ehyaa Alkotob alarabya. D-T.
[29] Shar7 Altasree7 ala Altawde7 ll Sheikh Khaled Al-Azhari, Dar Al-Fikr, D-T.
[30] 3iditt Aladawat AlHijajya, Lionel Bellinger, translated by Quttal Fadila. Within the book Al-Hajjaj mafhomo w mgalatoh.
[31] Arros Alafrah, fe shar7 talkhes almofta7 Takhlees Al-Muftah, with Ma' Al-Din Al-Subki. Investigation: Dr. Abdel Hamid Hindawi, al maktaba al asriya, Saida - Beirut, first edition
[32] Alawamel AlHijajya fe allo8a alarabia. Dr. Ezz El-Din Al Nageh. Aladdin Library for Publishing and Distribution. Sfax - Tunisia, first edition 2011.
[33] alfalsafa w albala8a moqarba hijajya llkhtab alfalsafi. Omaret Nasser, manshorat Alakhtlaf. Algeria - Algeria. 2009 first edition.

[34] Al-Kashshaf, Jarallah Al-Zamakhshari. A3tana bih: Khalil Mamoun Shiha, Dar AlMarefa. Beirut - Lebanon, first edition, 2009.
[35] Allisan and Almezan aw Altkwthr Alzihni . Taha Abdel Rahman. Arab Cultural Center. Casablanca - Morocco. 2012 third edition.
[36] Mba7eth fe ollom Al Qur'an. Manna Al-Qattan, Maarif Library for Publishing and Distribution - Riyadh, third edition. 2000.
[37] madkhal alta3reef billo8a. Edward Sapir. Within the book: Allo8a w alkhitab Aladabi- translated by: Saeed Al-Ghanimi - Arab Cultural Center - Beirut. First edition 1993.
[38] lmostalahat alasasiya fe lisaniyat alnas w ta7lil alkhitab. Dr.Nouman Bougherra. The modern world of books. Ammaan Jordan . First edition 2009.
[39] lmatol Sharah Talkhees Ul Miftah, Saad Al-Din Al-Taftazani. Investigation: Dr. Abdul Hamid Hindawi. Dar Alkotob ilmiyah. Beirut, Lebanon . 2007 second edition
[40] Almzahir Alla8wiya llHijaj. Madkhal ila Alhigagyat allisanyat. Rashid Al-Radi, Arab Cultural Center. Casablanca - Morocco. First Edition 2014.
[41] Mughni Al-Labib 3n kotob Al-A'arib. Ibn Hisham Al-Ansari. Investigation by Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, the modern library. Beirut - Lebanon 1987.
[42] Almofradat fe Ghareb AlQur'an. ll Ragheb Al-Isfahani. Adjust it and review it. Muhammad Khalil Itani. Dar Almarefa. Beirut, Lebanon, the seventh edition, 2014.
[43] Alnas Alhijaji Alarabi drasa few sail Aliqna3: Muhammad Al-Abd. Within the book Al-Hajjaj mafhomo w mnahigo
[44] nazariyat af3al alkalam alama, John Astin. Translated by Abdelkader Qenini. East Africa 1991

Undergraduate theses:

[45] Alslalim AlHijaajya in Alqss alQurany moqaraba tadweniya, College of Arts and Letters. Department of Arabic Language and Literature, University of Oran 1 Ahmed Ben Bella, academic year 2014-2015.
[46] sorat almonafq fe al Qur'an alkareem drasa fe aldlalat alsawtia w alsrfiya,. Surat Al-Tawbah as a model. Al-Bukhari Sibai. Master Thesis . College of Humanities and Islamic Civilization. Department of Islamic Civilization. Oran University. Academic year 2005-2006.
[47] mafhom algiha fe allisanyat alhadesa. Drasa nazarya tadbiqya ala allo8a alarabia almoasra. Master Thesis . Presented by the student: Hajj Musa Thalith. King Saud University . In the year 1427.

Magazines and periodicals:

[48] Alslalim AlHijaajya w qwanen alkhitab. Moqaraba tadawilya. Dr. Hamdi Mansour Judy. Maqalid Magazine - University of Biskra - Algeria, issue 13 year 43. 2017

[49] Almo3gam alla8wi w altwasol al Hijaji, Dr. Ali Mohammed Al-Sarraf. Journal of Human Sciences, Department of Arabic Language - College of Arts - Kuwait University. Number 26. Winter 2015.
[50] Moqarbit alainwan fe alnas aladbi. Jamil Hamdaoui. Alkalima magazine. A monthly electronic literary magazine.